9me, année No 945

Le Caire 13 — 8 — 1951

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٤٥ « القاهرة في يوم الاثنين ١٠ ذى القعدة سنة ١٣٧٠ — ١٣ أغسطس سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

١ — في دنيا الشعر :

أنفـــــاس محترقة

للأستاذ سيد قطب

في الجو رائحة تفوح ، رائحة شعر ، إنها « أنفاس محترقة » للشاعر محمود أبو الوفا ؛ ذلك الشاعر الذي لم نعرفه في حينه ، لأننا كنا في غفلة من إدراك حقيقة الشعر في ذلك الحين !

كنا نتلمس الشعر مخنوقا في ركام « الفكرة » المتبلدة الجامدة ، أو متقززاً في اللفتة الذهنية البراقة !

وكنا نتلمسه في قالب الملحمة أو في قالب الرواية ، لأن ببغاوات كثيرة قالت لنا : إن الشعر العظيم لا يكون إلا في هذا القالب ، نقلا عن الإغريق والرومان والمحدثين في أوربا !

وكنا نتلمسه في وسوسة العبارة ، وفي اصطناع الصورة ، وفي فرنجة الشاهد ، وفي صقل الإيقاعات كما لو كانت ملفوفة في أوراق (السلوفان !)

ودع عنك شعر « الصالونات » وشعر الحفلات ، وشعر المناسبات . وشعر الغناء الذي يفرضه بعضهم على الناس ...

فهذه ألوان ليست في حساب النقد ، ولا اعتبار لها في هذا المجال !

فأما الشعر ، الشعر كما هو مجرداً من القوالب والأشكال ، طليقاً من ثقلة الفكر ولمة الذهن ، واصطناع المشاهد والموضوعات — الشعر كما هو طليقا رقافا طلاقة العطر والشذى فهو مالم نحفل به كثيراً

ولقد كتبت قبل سنوات أربع تحت عنوان : « آن للشعر أن يكون غناء » في فصل من فصول كتاب : « النقد الأدبي : أصوله ومناهجه » أصور حقيقة الشعر وطبيعته في هذه الفقرات :

« — إنه الغناء ، الغناء المطلق عما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية ، وحين تصل هذه الانفعالات إلى درجة التوهج والإشراق ، أو الرقرقة والانسياب على نحو من الأنحاء

« ولسائل أن يسأل : أو تنفي الفكر من عالم الشعر أيضاً ؟ ولست أتردد في الإجابة . إن هذا الفكر لا يجوز أن يدخل هذا العالم إلا مقنعا غير سافر ، ملفعا بالمشاعر والتصورات والظلال ، ذائبا في وهج الحس والانفعال ، أو موشى بالسبحات والسرحات ! . . ليس له أن يلج هذا العالم سافرا كما أرادوا مجردا !

« ولحسن الحظ أن الإنسانية لا تزال تحمل هذه الشعلة المقدسة ، ولا يزال ضميرها يزخر بالمشاعر والخواطر ، ولا تزال تهتدي بالغريزة والإلهام بجانب الذهن البارد الجاف . وهناك لحظات تنفض عنها ذلك السكون البارد والوعي المتهد ، وتنطلق

رفافة مشرقة ، أو دافقة متوهجة ، أو سارية تائهة ، أو نشوانة حالمة . . وفى كل اللحظات الفنية الفائقة لا تجد إلا التعبير الشعرى ، يتسق بإيقاعه القوى ، وصوره ، وظلاله ، مع هذه اللحظات الملاء الوضاء »

فى هذا العالم الذى وصفت سماته نلتقى بالشاعر محمود أبو الوفا صاحب الأنفاس المحترقة . نلتقى به شاعرا كله ! شاعرا يخلص من اصطناع القوالب، واصطناع الأفكار ، واصطناع الأحاسيس، واصطناع التعبير ، ويلقانا بروحه كما خلقه الله . يلقانا بلا تكلف ولا تجمع ولا غشاء . يلقانا كما تلقانا الزهرة لتفرغ لدينا عبيرها وعطرها وتمضى !

ويحدثنا أبو الوفا عن نفسه وحبه وآلامه ونجواه . . . أو يحدثنا عن الإنسانية والوطن والشعب .. فإذا هو هو أبو الوفا الشاعر الفنانى الرفرف ، عذب الروح حتى وهو يتجرع صاب الحياة ؛ سمح الخليقة حتى وهو يحرق الأنفاس

استمع إليه يغنى « فى انتظار الصباح »

جدد لى الأقداح يا ساقى الراح
على أرى فى الراح أطياف أفراحى

* * *

فى مزهرى الحان أخشى أغنيها
أخشى على الأوتار من هول ما فيها

* * *

يا مزهر الأقدار غن بها غنى
واشرح على الأطيار ما غاب من فنى

* * *

لكل يوم شراب لابد من كاسه
وكل معنى العذاب فى لون إحساسه
من ذا يرد الصواب للدهر فى ناسه

* * *

للغاب يا ابن الغاب اهرب فداك الأواح
تبا لضعف التراب أغرى عليه الرياح
لولاى فى ذا الإهاب ما هيض منى الجناح

* * *

لا تسألوا ياشهود عن حكمة الأقدار
وأين نحن العبيد مما وراء الستار
ومن تخطى الحدود يلحق به فى النار
« النار ذات الوقود » يارب يا ستار !
ربان بحر الوجود أدرى بموج البحار
فاستسلموا للوعود وامضوا مع التيار

* * *

هات اسقنى يا صاح كأس الهوى الفضاح
سكران لكن فؤادى مما يعانيه صاح
يا ليل هل من مداو يا ليل ، يشفى جراحى؟
لم يجد فيك اصطبارى وليس يجدى نواحى
يا هل ترى لى صياح أم ليس لى من صباح

إنه مطلق غناء . لا تربط بينه قافية واحدة ، ولا تربط بينه فكرة جامدة . إنما تربط بينه تلك النغمة المنسابة . نغمة الروح الحزين . العابث . المتطلع . الأليف . الوديع . روح الفراشة البيضاء والعصفور الراقص المزقزق الصداح !

ومن هذا اللون والجو قصيدته : من الأعماق :

يا ليل هل ترى لواجد ؟ يا ليل أنت على شاهد
أشكو الوسائد للمرا قد ، والمراقد للوسائد
وجد أقض مضاجعى هيهات ينجو منه واجد
بينى وبين هواى أبـ ـعاد تضل بها المراصد

* * *

« عيسى » أخوك « محمد » وكلا كما : بان وشائد
ما للنصارى فى كنا ئس والحنائف فى مساجد !
ما للرواشد مالهم لا يصهرون مع الرواشد !
أو ليس آدم واحدا أو ليس دين الله واحد
لم لا يكون الحب وهـ ـو الأصل رائد كل رائد
من فك بين عرى القلو ب وشد من عقد العقائد ؟
ومن الذى خلى القوا رح لعبة بيد الولائد ؟

رفقـا بأفئدة تمز ق فى المجامر للمعابد
رفقـا على الأنف الشكيـ م من الشكائم والمقاود
أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد
جعلوا قواعـد للحيا ة . هل الحياة لها قواعد ؟

° ° °

يا قلب ويحـك فانشد يكفى الذى بك من مواجد
من ذا تنافى فى دجى الل يل البهيم ومن تناشد ؟
لغة البلابل أين تذ هب بين هدهدة الهداهد ؟!
... الخ

° ° °

فهنا كذلك تفوح رائحة الأسى والعتاب مضمخة بشذى الود والحب . . الحب الذى يأتى به الشاعر الحياة ، وهى تفزعه وتروعه ، فيغدو فيها كالطائر الحذر الفزع ، لا يتم نهلة من رى ، ولا يأمن لروح من ظل ، إلا وهو يتلفت ذات اليمين وذات الشمال

أصبحت من خوف القيو د أخاف وسوسة القلائد

وهى لمسة فنية بارعة فى رسم صورة حية متحركة لحالة نفسية فريدة فى بضع كلمات

ويبلغ الشاعر قمته فى هذا المنى أو قريب منه ، وهو يرسم فى قصيدة « ضحايا » تلك الصورة العجيبة ، النادرة فى شعر الإنسانية كلها ، وهو يقول :

أحب أضحك للدنيا فيمنعنى أن عاقبتنى على بعض ابتساماتى
هاج الجواد فعضته شكيمته شلت أنامل صناع الشكيات

ويبلغ الفن ذروته هنا فى تواقق الحركة الشعورية للشاعر والحركة الحسية التخيلية للجواد . وتأخذ الحركة الشعورية فى البروز والتجسم بتوا كب الحركة الحسية ونبضها ، حتى تنتهى بذلك الدعاء الكظيم : « شلت أنامل صناع الشكيات » فتبلغ ذروتها النفسية والفنية جيما ، وتترك فى النفس إيقاعها الشاجى وصداها الحزين

° ° °

والآن فلنصحب الشاعر فى جولة أخرى . « على شاطئ النيل » :

الكأس قبلك مرت فى فم نجس وكيف تشرب منها بالفم الطاهر
يا نيل إن لم تطهرها فمذرة إن عف منهاء والإهابك الشاعر
ولا أزيدك لم الشاطئين وما عليهما اليوم من خاف ومن ظاهر
عليهما الأمر يجرى حسب ما سمحت
به الرياح ولا ناه ولا زاجر
أقسمت يا نيل — لو تدرى — لما التطمت
فيك الشواطئ إلا بالدم الفائر

° ° °

يا ليت شعرى لمن تلك الكروم على الش
طين تسبى وتصبى القلب والناظر
فى سندس من حقول الروض أوسطة
بالدر قد فصلت واللؤلؤ الماطر
كأنها لوحة من عبقر رفعت فى باب عبقر يستهدى بها الزائر

° ° °

ما أجمل الأفق يبدو فى شروقهما وفى غروبهما غب السما الماطر
سرادق الظل فى أفواف ظلهما كأنه أفق فجر غائم سافر
كأنه سحب من فوج مجرة قد بات يشملها فى كهفه ساحر

° ° °

قل لى : ألشعب منها غير منظرها وسقيها أو يد الحصاد والباذر ؟
إن لم تدر بين أيدينا معاصرها فلا أدرت ولا دارت رحى عاصر
قم حطم الكأس أو فاملك موارودها أو فانس حقك . إن الحق للقادر !

هنا نلتق مواجع الشاعر بمواجع الشعب المحروم ، وتلتق آلامه بآلام الجماهير الكادحة ؛ فترتفع نغمة الألم ، وتشتد حرارة النفثة ، وتتحول شواظا وضراما . ولكن الشاعر يظل يلقاك بروحه الشاعرة ، وفنه الأصيل . سواء كان ذلك فى تصوراته الشعرية ورؤاه ، أم فى الزاوية التى يطل منها على المشاهد والمرائى . فلا يسف ولا يجف ، ولا يتحول فنه إلى خطابة جوفاء ، وليس فيها سوى الجمجمة والضجيج !

وهكذا يثبت أبو الوفا أن الفنان الأصيل يملك أن يغمس ريشته فى جراح الإنسانية ، ومواجع الكادحين والمحرومين ؛ ثم يبقى مع ذلك فنانا يحس بطريقته الخاصة ، ويرسم بيده لا بيد

...العوام والأميين

وهي ظاهرة أحب أن أبرزها هنا ، لأن هنالك خلطا في هذه الأيام بين وظيفة الفنان ووظيفة خطيب الجماهير ! في الإحساس بالآلام العامة : وفي طريقة التعبير عن هذه الآلام ، تختنق في غمرتها روح التقدير الفني الصحيح

° ° °

وبعد فليست « أنفاس محترقة » كلها من هذا الطراز الفني بطبيعة الحال ، ففيها الأنفاس المشتعلة والأنفاس الخابية ؛ وفيها المقطوعات التي يصيبها الإعياء سواء في النبض أو في التعبير ؛ وفيها المقطوعات التي يصعب أن تعدها من الشعر أصلا ! ولكنني أحب أن أقرر بعد هذا كله أن شعر أبو الوفا « ظاهرة فنية » لها مظاهر قوتها الخاصة ، ومظاهر ضعفها الخاصة . ظاهرة فنية مستقلة تستحق الدراسة في تاريخ الشعر العربي كله ظاهرة فنية لم تدرس بعد حق دراستها لأن النقد الفني لم يكن من اليقظة بحيث يلتفت إلى الظواهر الفنية التي تولد بين الحين والحين

سيد قطب

٢ - مشكلة يهود اليمن
النازحين إلى اسرائيل

للأستاذ عمر حليق

تقول النشرة الرسمية للمؤتمر اليهودي العالمي (ومركزه نيويورك) إن الدافع الرئيسي لهجرة يهود اليمن إلى فلسطين هو الاضطهاد الذي لحق بهم بعد حرب فلسطين ، والمجاعة التي لحقت باليمن عامة ويهودها خاصة . أضف إلى ذلك النزعة الدينية القومية التي حفظها اليهود على مر الأجيال وهي « إن نسيتك يا أورشليم فلتشل يداي » . هذا نوع من التضليل والدعاية المغرضة التي تشوب تصريحات أولي الأمر في اليهودية العالمية

فقد استعرضنا في مستهل هذا البحث ما سجلته دائرة الأبحاث الشرقية في جامعة اليهود العبرية بالقدس وآراء مبعوثي الهيئات اليهودية إلى اليمن من حسن المعاملة التي لقيتها الطائفة اليهودية في اليمن قديما وحديثا . واضطهاد اليهود بدعة تتفنن القيادة اليهودية العالمية في ترويجها لطمس الأهداف الرئيسية التي من أجلها شنت حملة غزو الأراضي المقدسة في فلسطين

والقول بأن في اليمن مجاعة ينفيه أن ما يعرف عن البلاد اليمنية من انتشار الرخاء فيها ، فالبلاد اليمنية مزيج من الجبال الشماء والسهول الخصبة تتوفر فيها المياه وتنتشر فيها الزراعة من أقدم العصور . وليس في سجل المعلومات عن اليمن أنها أصيبت بمجاعات

أما النزعة الدينية التي دفعت يهود اليمن إلى النزوح لإسرائيل فهي حقيقة لا تنكر . ولكن الذي أذكى نار الحماس اليهودي لغزو فلسطين هو ما أثارته الحركة الصهيونية العالمية في نفوس الجاليات اليهودية في الشرق والغرب من نار القومية اليهودية العنيفة

وليس أدل على لون الخداع والغش الذي يشوب أعمال الحركة الصهيونية من أن هجرة يهود اليمن إلى فلسطين لم تتحقق على هذا النحو من السرعة والإتقان إلا لأنها كانت وليدة تدابير يرجع عهدها إلى سنين مضت قبل أن تدخل الدول العربية في حرب مع اليهود وقبل أن تولد الدولة اليهودية

وتشجيع الحركة الصهيونية ليهود اليمن على الهجرة إلى إسرائيل هو جزء من الخطوة التي ترمي إلى حشد أكبر عدد ممكن من يهود العالم في « أرض الميعاد » ليزدادوا قوة وعددا ويحققوا برامج بني إسرائيل في إقامة دولتهم في الحدود التي دونتها التوراة : « من ضفاف النيل إلى ضفاف دجلة والفرات . ومن طرسوس إلى صحراء الجزيرة العربية »

والمهم حين نستعرض هذه الناحية في قضية يهود اليمن أن نسجل أن عملية نقلهم قد تمت بنجاح . فقد نقل اليهود الجزء الأكبر من أموالهم « مما خف حمله وغلا ثمنه » ويقول كاتب يهودي زار عدن أثناء تجمع اليهود فيها لركوب الطائرات التي

نقلهم إلى إسرائيل — يقول هذا الكاتب (فى مجلة كومنترى عدد يوليو ١٩٥١) إن القوافل اليهودية التى اجتازت حدود اليمن إلى عدن لم تلق أذى أو صعوبة . فلا الحكومة اليمنية وضعت فى وجه هذه القوافل العراقيل ، ولا قبائل البادية عارضوها ، وكل ما فعله المشرفون على هذه القبائل اليهودية أن رشوا بعض الشافعيين مع رؤساء القبائل على حدود اليمن — عدن ، فسهل هؤلاء لهم المرور . أضف إلى ذلك المساعدة الأدبية التى وفرها حاكم عدن البريطانى وأعوانه لحماية هذه القوافل اليهودية فى ظل ما له هناك من سلطة ونفوذ

وكانت حين تصل قافلة من هذه القوافل إلى حدود عدن يتلقاها جماعة من يهود أمريكا وبريطانيا كان حاكم عدن البريطانى قد سمح لهم بتنظيم عمليات المونة والإسعاف والراحة من عناء السفر . ولم تكن هذه القوافل لتنتظر كثيراً قبل أن تجلس فى مقاعد وثيرة فى طائرات ضخمة حديثة من نوع القلاع الطائرة التى وفرتها السلطات الأمريكية الرسمية « للجنة التوزيع الأمريكية اليهودية المشتركة » التى قامت بنقل يهود اليمن إلى « أرض الميعاد » . والمشرفون على هذه اللجنة يهود أمريكانيون كان فى استطاعتهم التنقل فى عدن والسودان والصومال وأريتريا لأنهم من رعايا أمريكا ومن حاملى جوازات سفرها . وقد كلفت عملية نقل يهود اليمن حوالى (٦٥) مليون دولار وهى جزء من التبرعات التى يقدمها يهود أمريكا للحركة الصهيونية — تبرعات مخصومة من ضريبة الدخل الحكومية المفروضة على الرعايا الأمريكان

وفى مثل هذه الظروف الواتية نزح يهود اليمن إلى إسرائيل ودفعوا إلى مراكز التجمع لليهود القادمين حديثاً إلى إسرائيل وتكاثر عددهم حتى بلغ عشرات الألوف ، ومن هنا نشأت المشكلة « اليمنية » فى إسرائيل

أسباب المشكلة :

رأينا من مقدمة هذا البحث أن يهود اليمن كانوا قبل رحيلهم عنها فى بحبوحة من العيش والرخاء الاقتصادى ؛ وأنهم كانوا ملاكاً للأراضى الزراعية وتجاراً وصناعاً وصيارفة .

وبالرغم من أنهم نقلوا معظم أموالهم « الخفيفة الحمل الثقيلة الثمن » معهم إلى إسرائيل لم تسمح لهم الحكومة اليهودية بالتعامل التجارى أو بامتلاك الأراضى والاشتغال بالزراعة أو التجارة على نحو ما كانوا يقومون به فى اليمن

والواقع أن الحركة الصهيونية لم تخدع العالم فقط بل خدعت اليهود أنفسهم .. ومشكلة يهود اليمن مثال لذلك

فقد كانت الدعاية الصهيونية فى الجاليات اليهودية فى اليمن تزين لهم « أرض الميعاد التى تدر لبنا وعسلا » والتى تقام فيها شعائر المذهب اليهودى بدقة تامة . ولقد رأينا أن إذكاء الحماس الدينى بين يهود اليمن كان من أهم الدوافع التى مكنت للحركة الصهيونية وأعوانها فى محمية عدن من تشجيع يهود اليمن على الرحيل إلى إسرائيل . وعندما استقرت هذه الألوف من اليهود اليمنيين فى « أرض الميعاد » تبخرت أموالهم حين كشفت لهم القيادة الصهيونية عن رغبتها الحقيقية فى نقلهم إلى إسرائيل — وهذه الرغبة تتوخى جعل يهود اليمن مصدراً للعمل الرخيص فى المصانع والمزارع اليهودية فى إسرائيل ، إذ أن العامل اليهودى المهاجر من أوروبا يصر على أن ينال أجراً مرتفعاً ، الأمر الذى لا يشجع سياسة التصنيع والإنتاج التى تبتغى الدولة اليهودية جعلها أساساً لحياتها الاقتصادية وسياستها التوسعية فى الشرق العربى

وغضب يهود اليمن حين اكتشفوا ذلك وسقط فى أيديهم لأن أولى الأمر فى الدولة اليهودية أصروا على التقييد من حريتهم فى التجارة والزراعة والصناعة . ولم تكتف بذلك بل أصرت حكومة تل أبيب — وهى حكومة إلحادية النزعة — على أن يطلق يهود اليمن عاداتهم الدينية ؛ ومنعوا من تربية أولادهم تربية دينية وأرغموا على البقاء فى معسكرات اللاجئين وحيل بينهم وبين الدخول فى ميدان المنافسة التجارية والزراعية

ثم جاء دور السياسة الحزبية فزاد المشكلة تعقداً . فليس يهود اليمن وحدهم هم الذين غررت بهم الحركة الصهيونية على هذا النحو؛ بل أنهم ويهود العراق وشمالى إفريقيا وإيران سواء فى هذه الخدعة التى تحاول أن تقيد حريتهم فى مزاولة التجارة والحرف

الناجحة — التي أنفقوها على حساب عرب اليمن والعراق وشمالي إفريقيا — لتجعل منهم ذخيرة من الأيدي العاملة الرخيصة النفقات لسد حاجة المصانع والمزارع التي تديرها الحكومة اليهودية أو الشركات الكبرى التي تمولها رءوس أموال يهود أمريكا وبريطانيا ومصر وجنوبي أفريقيا . أو ليست الحركة الصهيونية مغامرة اقتصادية سترت بلون من « الروحانية » والقومية اليهودية المتيدة لتحقيق السيطرة على صميم الشرق الأوسط في ملتقى القارات الثلاث ؟

قلنا إن السياسة الحزبية في إسرائيل تدخلت في مشكلة يهود اليمن ويهود العراق وشمالي إفريقيا فزادتها تعقدا . فلقد كان لأفراد هذه الجاليات ضلع كبير في أعمال الإرهاب والتجسس الذي ساد فلسطين قبيل المأساة . . وكان من السهل على يهود البلدان العربية المقيمين في فلسطين أن يتسربوا إلى صميم القطاعات العربية لأعمال الإرهاب والغدر . وقد سهل لهم ذلك تمكنهم من العربية ولون بشرتهم وملامحهم الشرقية ، والمكر والمواربة التي اشتهر بها يهود الشرق بصورة خاصة . وقد ساءهم أن تعاملهم الحكومة اليهودية الحالية هذه المعاملة بعد أن أبلوا في سبيل الصهيونية بلاء حسنا . فأخذوا في تنظيم جموعهم والسعي لإزالة هذه القيود التي فرضتها عليهم الحكومة اليهودية واشتدت غطرستهم، وقوي نفوذهم بعد التكتل، وأخذت الأحزاب في سعيها لاستمالة أصواتهم في الانتخابات تشعل الضغينة والحقد فيهم ضد الحكومة القائمة

ويستفاد من الأنباء التي تسربت من نطاق الصهيونية الحديدي في إسرائيل أن يهود اليمن والعراق وشمالي إفريقيا قد ثاروا مرتين خلال هذا العام . . . وفي كل مرة كانوا يحتلون المنازل ودور الحكومة وأماكن الاستراحة الشعبية إعرابا عن استيائهم . وفي إحدى هذه الثورات رجموا البوليس وأصيبوا بعدة قتلى وجرحى . ولم يكتفوا بذلك بل إنهم حملوا شكاياتهم إلى معاقل الصهيونية في أمريكا وبريطانيا ، ولكن سعيهم ذهب سدى . فصهيونيو أمريكا وبريطانيا من أشد اليهود تفهما لحقيقة أهداف إسرائيل لأن لهم في كيانها منفعة اقتصادية كبرى . وإن يسعى صهاينة أمريكا وبريطانيا في عرقلة برامج التوسع الاقتصادي اليهودي رأفة بيهود اليمن ، والعراق ، وإيران ، وشمالي إفريقيا ، أو ليسوا هؤلاء أقرب عناصر الصهيونية إلى العرب لونا وتكوينا ؟ وحكماء صهيون الذين خدعوا العالم طوال هذه الأجيال أمكر من أن يتركوا يهود اليمن يفلتون من قبضتهم

ترى هل يذكر هؤلاء اليهود الذين وقعوا في أحضان العرب وأصبحوا في بحبوحة العيش وحسن الجوار ما قاله المثل العربي «على نفسها جنت براقش .»

نيويورك — للكلام صلة — عمر حليق

٣ – الصلات الشخصية بالعباقرة

للأستاذ محمد خليفة التونسى

ومهما يكن من شئ فإنه يحق لنا بعد ما قدمنا (الرسالة العدد ٩٤١) أن نعتبر العقائد سواء أكانت دينية أم سياسية أم فنية أم غير ذلك قيما وخصائص فردية وإن تكن ظواهر اجتماعية ، فالدين مثلا – ووظيفته الهداية والإصلاح – قد يعجز عن إصلاح المفسد وإرشاد الغوى ، بل قد يزيدهما فسادا وغواية لأن الدين – ومثله كل عقيدة أيا كان نوعها – ليس من الإنسان إلا صورة نفسه من حيث طبيعتها وأخلاقها وتربيتها ونشاطها فى البيئة التى حولها ، أو أنه جانب من صورة هذه النفس ؛ فإسلام النبي محمد صورة نفسه وإسلام عمر صورة نفسه وكذلك إسلام أبي بكر وعثمان وعلى وخالد ومعاوية ويزيد وأبي ذر والحجاج، وكذلك إسلام كل منتسب إلى الإسلام سواء أكان صالحا أم طالحا ، كريما أم بخيلا ، شجاعا أم جبانا ، على اختلاف النفوس فى الطبائع والأخلاق والأمزجة والمسالك فى مختلف البيئات

فالإسلام مثلا دين واحد من حيث هو نظام معقول ، أى من حيث يراه العقل ، ولكن صورته التى يمثلها لنا محمد عليه السلام تختلف قليلا أو كثيرا من الصورة التى يمثلها لنا كل واحد من أصحابه وأتباعه والمنتسبين إليه إلى اليوم ، وإن كانوا جميعا مسلمين يسلمون بالمبادئ العامة التى جاء بها الإسلام ، وما اختلفت صور إسلام هؤلاء جميعا كل عن الأخريات كما تبدو لكل متأمل إلا لاختلاف طبائعهم وأخلاقهم وأذواقهم وسائر ملكاتهم الخلقية والشعورية والفكرية

كل عقيدة من العقائد ، وكل دين من الأديان طبعا – إنما هو نظام واحد من ناحية تعقله ليس غير ، ولكنه من ناحية الإحساس والعمل به صور مختلفة متعددة بمقدار المنتمين إليه ، وما من سبب لهذا الاختلاف والتعدد إلا اختلاف كل إنسان قليلا أو كثيرا عن الآخرين من حيث الطبائع والأخلاق والأذواق وما إليها أكثر من اختلافهم فى الفهوم ، وإن كان لاختلافها حظ فى اختلاف الصور العقيدية ، غير أنه حظ ضئيل وقد يكون غير واقع ، بل قد تكون العقول متأثرة لا مؤثرة ومسوقة لا سائقة خضوعا للأمزجة والطبائع ، فلا ترى العقول إلا ما تريها هذه ، ولا تعقل إلا كما تشاء لها مما تقدر عليه وتريده

ونؤخر ضرب الأمثلة الكثيرة لذلك ، وحسبنا هنا مثلا النظر إلى عقيدة القدر

لم يكن أحد يؤمن بهذه العقيدة ويتوكل على الله بكل مافى طاقته من توكل أشد من إيمان النبي محمد عليه السلام ، ولكننا لا نجد أمرا من الأمور صغيرها وكبيرها عزم عليه قبل البعثة وبعدها إلا دبره لحزم تدبيره وأحكمه وهيأ له وسائله الدنيوية المألوفة كأشد المفكرين للقدر ، وما ترك فجوة فى خطة إلا حاول سدها بما بين يديه ومن بين يديه كأن ليس لهذه الفجوة سداد إلا عمله وعمل من حوله . وما انتوى أمرا إلا أخطر لبصيرته كل احتمالاته ، واستعد له بكل أهبة فى طاقته من الأهب المادية والمعنوية أشد وأكثر مما يستعد لمثلها من لا يؤمنون بقوة غيبية

بينما الإيمان بهذه العقيدة عند الضعفاء الفارغين يدفعهم ويسوغ لهم أن يحملوا القدر أو المجتمع أو نحو ذلك كل مسئولياتهم وسخافاتهم ورذائلهم ، كأنما حاولوا وبذلوا كل ما وسعهم من حول وحيلة فى سبيل أهدافهم، فحال القدر أو المجتمع أو نحو ذلك بينهم وبين ما إليه يهدفون

ولا يقتصر الأمر فى ذلك على العقائد ، بل هو عام فى كل ما يخضع للارادة والعواطف والأمزجة كالفنون

فالناس جميعا يؤمنون كل الإيمان بأن الموت غاية كل إنسان مهما جل أو هان : وكذلك كان المتنبى وأبو العلاء المعرى يعرفان ، ويريان الناس وهم يتنازعون أعراض الدنيا ويقتتلون عليها . لا اختلاف على الشاعرين الحكيمين فيما يريان ويعقلان، ولكن هذا ينتهى بما يرى إلى نتيجة تناقض كل المناقضة النتيجة التى ينتهى إليها صاحبه

أبو العلاء المعرى يرى ذلك فيزهد وييأس ويدعو الناس إلى الزهد واليأس . يقول :

« تجربة الدنيا وأفعالها   حثت أخا الزهد على زهده »

ولم ؟ يجيب :

« لو عرف الإنسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
أمس الذى مر على قربه يعجز أهل الأرض عن رده
أضحى الذى أجل فى سنه مثل الذى عوجل فى مهده
ولا يبالى الميت فى قبره بذمه شيع أم حمده
والواحد المفرد فى حتفه كالحاشد المكثر من حشده
وحالة الباكى لآبائه كحالة الباكى على ولده »

ونحو ذلك ، مما يبين أن أسباب الزهد فى الحياة عنده بل السخرية والتهكم بها يعود إلى أن الفناء مصير كل خير وشر ، وحسن وقبيح

« زحل أشرف الكواكب طرا من لقاء الردى على ميعاد
ولنار المريخ من حدثان الدهر مطف وإن علت فى اتقاد
واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكون مصيره للفساد »

وكذلك

« سيسأل قوم من قريش ومكة كما قال قوم من جديس ومن طسم »

فكل عمل يقوم به الإنسان جهد ضائع يتلوه جهد ضائع لا يستحق الأسف

« تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد
أسف غير نافع واجتهاد لا يؤدى إلى غناء واجتهاد »

إلى مئات الأبيات فى هذا المعنى ونحوه والأسباب واحدة والنتيجة واحدة

والمتنبى يرى ما يرى المعرى ، ومن الأسباب التى يستنتج منها المعرى وجوب الزهد ويستنتج هو وجوب الإقبال على الحياة والانغماس فى معاركها على قدر الطاقة . فيقول :

« إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم »

ولماذا ؟

« فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم »

ويقول :

« صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا
وتولوا بغصة كلهم منه ، وإن سر بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه ، ولكن تكدر الإحسانا »

وليس الإنسان ضحية شرور القدر وحده ؛ بل ضحية شرور أخيه الإنسان أيضاً ، واتخاذه من كل وسيلة للخير وسيلة للشر

« وكأنا لم يرض فينا بريب الدهر حتى أعانه من أعانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء فى القناة سنانا »

وهل الغنم الذى يجتنيه الإنسان من وراء كل ذلك يستحقه هذا العناء ؟ لا ، والمتنبى يؤكد لنا ذلك

« ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وأن نتفانى »

وإذن أفنزهد فى هذا الصغار أيها الحكيم ؟ ذلك ما ينكره المتنبى أشد الإنكار ، ويحرمه كل التحريم ، ويعده كفراً :

« غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى لعددنا أضلنا الشجعانا
وإذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تكون جبانا »

وماذا من العذابات التى نلقاها من مخاوف الموت ووقعه ؟ لا داعى للتردد حيالها فهذه أوهام :

« كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفس ، سهل فيها إذا هو كانا »

أو كما قال فى موضع آخر :

« فما الخوف إلا ما تخوفه الفتى ولا الأمن إلا ما رآه الفتى أمنا »

أو كقوله فى غيره :

« والأسى قبل فرقة الروح عجز والأسى لا يكون بعد الفراق »

ويكرر المتنبى ذكر الأسباب نفسها فى عشرات المواضع من ديوانه ، وينتهى إلى هذه النتيجة نفسها كقوله :

« لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله موتة جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه
وغاية المفرط فى سلمه كغاية المفرط فى حربه »

وما نتيجة ذلك أيها المتنبى ؟

فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه .

وإذاً فليست الفيرة فى الحياة بما نرى وما نريد أو لا نريد ، ولكن الفيرة بالدوافع والأمزجة فهى التى تحدد المذهب والإحساس والنظر ، والمعرى والمتنبى كلاهما صادقان فيما يحسان وما يقولان ، وكل منهما فى كل ما يقول وفىّ لمزاجه ، وفى مذهبه ودوافعه فى الحياة ، فلا تناقض بينهما فى منطق العواطف ، وإن تناقضا فى النظر العقلى المجرد ، وإذا كان المنطق العقلى المجرد لا يحتمل أكثر من نتيجة واحدة ومذهب واحد إذا اتحدت الأسباب ؛ فإن

منطق العواطف يتسع لملايين الملايين من النتائج والمذاهب المتناقضة بقدر عدد النفوس العاطفة ، ومنطق العواطف أصدق مع كل هذا التناقض من كل منطق عقلي مجرد ولو كان عقل أحكم الحكماء.

والناس جميعاً في ذلك على نحو المعري والمتنبي كما يظهر من دراسة أحوالهم في كل زمان ومكان .

فيقول طرفة بن العبد على نحو قريب من نحو المتنبي لمن لامه في المغامرة بنفسه في الحرب والإسراف في اللذات

«ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
إذا كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي»

كما يقول أبو العتاهية على نحو قريب من نحو المعري :

« لدوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب »

أو قوله :

« أيلهو ويلعب من نفسه تموت ومنزله يخرب »

أو قوله :

« بين عيني كل حي علم الموت يلوح
كلنا في غفلة والمـ ـوت يغدو ويروح
نح على نفسك يا مسـ ـكين إن كنت تنوح
لتموتن وإن عمـ ـرت ما عمر نوح »

أو قوله :

« ألم تر ريب الدهر في كل ساعة له عارض فيه المنية تلمع
أيا باني الدنيا لغيرك تبتني ويا جامع الدنيا لغيرك تجمع
أرى المرء وثابا على كل فرصة وللموت يوما لا محالة مصرع »

وحب النفس مثل آخر لما يتصل بالطبائع والأخلاق والعواطف ، فهل يتأدى بنا جميعا إلى مذهب واحد ؟

لا ، بل يذهب بالناس مذهبين كل منهما يناقض الآخر كل المناقضة ، والأمر فيه كالأمر في القدر ، وموقف الإنسان من الحياة ، ويلخص لنا المتنبي هذين المذهبين من وراء حب النفس تلخيصا حكيما ، ويمهد له ، ويعقب عليه ، فيقول :

« أرى كلنا يبغي الحياة لنفسه حريصا عليها مستهاما بها صبا
فحب الجبان النفس أورده البقا وحب الشجاع النفس أورده الحربا
ويختلف الرزقان، والفعل واحد إلى أن ترى إحسان هذا لذا ذنبا»

وأذكر أني قرأت قصة لقصصي أوربي لا يحضرني الآن اسمه ولا اسم قصته.. تدور حول قسيس رأى امرأة تزل أحيانا ، ففكر أن يهديها ، وارتحل إلى إيطاليا في أمر وفكر في هدية يهديها إليها بعد عودته ، فلم يجد إلا جمجمة امرأة ميتة ، ففرح بها إيمانا منه بأن رؤيتها الجمجمة تذكرها بالموت فترتدع عن غيها ، ولكن ما إن سلم إليها الهدية الثمينة حتى رآها تغرق في الفساد وتزداد ضلالا وغواية ، وعجب من ذلك إذ رأى من مسلكها عكس ما كان يرجو ، فلما سألها عن ذلك أعلمته أن رؤيتها الهدية هي التي شجعتها على الانغماس في الرذيلة بعد أن كانت قبلها تقارفها دون أن تنغمس فيها.. ذلك أنها فكرت فانتهت إلى أنه ما دام مصيرها كمصير هذه الجمجمة فأحر بها ألا تحرم نفسها إرضاء شهوة من الشهوات ، وهذه دون شك نتيجة لا تزيد غرابة عن النتيجة التي كان ينتظرها القسيس الأريب وهي تعففها عن الشهوات . نتيجتان ليست إحداهما بأرجح من الأخرى .. ولا أدنى إلى العاطفة والعقل ، لأن العبرة في أعمال الإنسان بدوافع حياته وطبيعته ومزاجه وحاجاته وشهواته ، لا بعقله ولا بمذهبه الديني والسياسي ولا بما يسره أو يسوءه ، فما دينه ولا وطنيته ولا عواطفه ولا أقواله وأعماله وآراؤه إلا صورة نفسه ، وكلها معلولات وكلها حتى دينه إنما منزلتها بمنزلة الإناء الصافي من الشراب لا يتلون إلا بلونه ، ولا ينضح إلا به

محمد خليفة التونسي

خواطر فى كتاب الله

آداب السلوك

للأستاذ محمد عبد الله السمان

إن للمجتمع تقاليده ، وللسلوك آدابه ، ولهذه التقاليد والآداب احترامها وإجلالها ، ولا يحاول الشذوذ عنها إلا أولئك الذين نكبوا بقصور فى عقولهم ، وسقم فى ألبابهم ، وعتو فى تفكيرهم

وتربية القرآن النفس على مراعاة تقاليد المجتمع وآداب السلوك فيه تقدير وإكبار له — ولا جدال فى أن العجب لآخذ منك مأخذه حين ترى القرآن يلم بهذه الآداب دون أن يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، محاولا صقل النفس بالذوق السليم وطبعها بالطابع المحمود

فالجالسون يجب عليهم أن يتفسحوا فى المجالس ليجلس القادمون ، وينهضوا وقوفا إذا لم يكن هناك أماكن لجلوسهم ، لأن الذوق السليم والمروءة تقتضيان هذا وتحتمانه عليهم :

«يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، وإذا قيل انشزوا فانشزوا ، يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ... »

والزائرون يجب عليهم الاستئذان قبل الدخول ، والتسليم إذا أذن لهم — كما يجب عليهم المبادرة بالرجوع من حيث أتوا إذا لم يجدوا أحدا ، أو وجدوا ولكن لم يؤذن لهم ، وذلك أصون لكرامتهم وشعورهم ، وأكرم لشرفهم ومروءتهم :

« يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون — فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ، وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ، هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم »

والخدم والأطفال يجب أن يكون لاختلاطهم بالنساء والفتيات حد داخل البيوت ، وإن كانت المصلحة تقتضيه ، فأوقات النهوض من الفراش ، والإواء إليه أوقات دقيقة قد تكون كل من المرأة والفتاة فيها بحالة لا يحسن رؤيتها عليها :

« يأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات : من قبل صلاة الفجر، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن ، طوافون عليكم بعضكم على بعض ، كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم »

ويعيب القرآن سلوك الذين يتهاونون فى مروءتهم ، ويتحايلون فى أن يدعوا إلى الموائد، فتراهم يتربصون بالأطعمة ، فإذا ما تم نضجها تعللوا بالزيارة وغيرها ، وأسهموا فى تناولها . وليتهم يقفون عند هذا الحد ؛ ولكنهم يأبون إلا أن يقاسموا أهل البيت أرقاتهم مستبدين بها ، غير مبالين بأن فى هذا إيذاء لهم وإهانة لأنفسهم :

« يأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه؛ ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا ، ولا مستأنسين لحديث . إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيي منكم ، والله لا يستحيى من الحق .. »

وليس من أدب السلوك ولا من حسن التصرف أن يأتى الإنسان البيت من ظهره ، فإن فى هذا قلباً للأوضاع ولا أن ينادى أهل المنزل من وراء الحجرات ، فان فيه إحراجا لشعورهم واستخفافاً بأقدارهم : « وأتوا البيوت من أبوابها — إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم . »

ومن الفظاظة التى يمجها الذوق السليم أن لا يحترم المرء من يكبره مقاماً أو سنا أو علماً ، فيرفع صوته فوق صوته ، ويناديه مناداة فيها كثير من التهاون ، كما ينادى إنسانا عاديا :

«يأيها الذين لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم

(١) مواصلة البحث التى تمر تباعا على صفحات الرسالة القراء إلى نهاية العدد ٩٠٥ من السنة الثانية عشرة

لاتشعرون ، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقـوى ؛ لهم مغفرة وأجر عظيم — لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا .»

ومن الفوضى أن يتهاون الإنسـان فى آداب الاجتماعات ، ومن أهم آداب الاجتماعات الاستئذان من الرئيس ، والشذوذ عن الإجماع ، وانتهاز غفلة الرئيس للهرب من القاعة متسللا ، ولاسيما فى الاجتماعات الهمة التى تتعلق بشؤون الأمة وحياتها :

« إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معـه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يسـتأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شـئت منهم — قد يعلم الله الذين يتسـللون منكم لواذاً فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »

وللحديث آداب يجب أن تقدر ، والاسـتهانة بها مما يجعل المستهين مهيناً فى نظر النـاس . وليس من آدابه فى شئ أن يأخذ بعض الجالسين جانبا من المجلس ، فيتحدثوا سرا بما شاءوا أن يتحدثوا ، فتـدب الفوضى فى الحديث ، كما يدب القلق فى نفوس الـكثير :

« إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون »

وماأهون أولئك الذين لايؤمنون بآداب السلوك فى الشارع ، فإذا سار أحدهم أمال خده تكبراً ؛ وإذا مشى اختال فى خطواته عجبا ، ولم يقصد فى مشيه ولم يغضض من صوته :

« إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا - ولاتصعر خدك للناس ولاتمش فى الأرض مرحا ، إن الله لايحب كل مختال فخور ، واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »

وما أعجب أولئك الذين لم يحفلوا بآداب الأخوة الإنسانية وخيل إليهم أنهم فوق الناس وأسمى منهم ، وهان عليهم أن يسخروا من البعض . ويعيبوه ويستخفوا به حتى فى مناداته ، فتراهم ينادونه بالألقاب التى تسىء إلى نفسه وإنسانيته :

« يا أيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نسـاء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون .. »

والأخوة الإنسانية تفرض على الإنسان تحية أخيه عند لقائه كما تفرض على الآخر رد التحية بخير منها ، أو على الأقل بمثلها .. وذلك ضمان لبقاء الرابطة متينة قوية :

« وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ، إن الله كان على كل شئ حسيبا »

القاهرة — (للحديث صلة) محمد عبد الله السمان

مع شوقي الخالد :

مسرحية مصرع كليوباترا

للأستاذ حسين كامل عزمي

مقدمة :

المشهور أن المسرحية فن غريب على الأدب العربي[1] والنقد الأدبي الحديث منوط به البحث عن سبب هذه الظاهرة؛ وبخاصة إذا عرفنا أن الأدب المسرحي أصيل في الآداب العالمية؛ ففي أدب اليونان القدماء نجد المسرحية مكتملة العناصر إلى حد كبير حتى أن أسس المسرحية التي وضعها أرسطو في بحثه في الفن، كانت — ولا تزال — من عمد الفن المسرحي ...

وتاريخ الفن المسرحي الحديث في مصر لايزال في حاجة إلى تاريخ مدون .. ولعل أقرب تاريخ لهذه الحركة الحديثة هو مقدمة مسرحية « أوديب » لتوفيق الحكيم .. ومنها نعلم أن المسرحية الحديثة قد بدأت معتمدة كل الاعتماد على الآثار الفنية للمسرحين: الفرنسي والإنجليزي . . . وخاصة آثار القطبين : موليير وشكسبير ...

وإن كان المصريون قد شاركوا فيهما متأخرين ، فإن مشاركتهم تلك كانت تأثرية لا فنية ، كما اعترف الأستاذ الحكيم في مقدمته السالفة الذكر

بيد أننا نستطيع أن نلمح حركة تسعى نحو التقدم بفضل جهود ركني المسرح المصري الحديث من الفنانين الأدباء؛ ونعني بهما شوقي في مسرحياته الشعرية ، وتوفيق الحكيم في مسرحياته النثرية . . ملاحظين أن فن الحكيم في المسرحية أثبت قدما ، فمواطن الإجادة عنده تراها متميزة جلية ، في حيوية الشخصيات وفاعلية الحوادث ، ونبض الجو بالحياة ، والقوة التأثيرية الكامنة في الحوار . .

كذلك نلاحظ أنه — أي الحكيم — لا يعتمد اعتمادا كليا على التراث التاريخي في مسرحياته ، كما فعل شوقي ...

١ — طبيعة الحوادث :

الفصل الأول — المنظر الأول : يبدأ بنشيد شعبي ، المقصود منه شيئان : أولهما التمهيد للحديث عن الحركة الوطنية « بين حابي وديون وزينون » ، وثانيهما التلميح إلى وفاء شرميون الملكة . . . وإذن فقد وفق في الإفادة من هذه الحادثة ، وبعد ذلك تظهر هيلانة . فيمهد شوقي في كلمة لاذعة من حابي ، لعاطفة الحب التي استغلها في توضيح جانب عاطفي من الملكة ، وجانب الوفاء من هيلانة للملكة . . ثم همس زينون لنفسه وتجاذبه أطراف الحديث مع حابي ، والتمهيد من هذا الإيحاء القوي ، الذي أراد شوقي أن يسلطه على الجمهور؛ فهو كما نرى يحاول أن يضع في شخصية الملكة شيئا يشبه المغناطيسية الجنسية ، أبرز تعلق زينون — وهو شيخ — بها ... ثم افتتان حيرا الساحر بفتنتها ، حين تغنى بجمالها وتغزل .. بدلا من أن يرجم لها بالغيب ... ناهيك عما صوره من وله أنطونيو بها . . مما لا مزيد عليه؛ ثم عطف أنوبيس بعد ما أبدى بغضه ، وشدة إخلاص وصيفاتها ، وشاعرها ، ومضحكها .. حتى لقد كاد شوقي أن يخلق لنا دراما أخرى في طيات الدراما الأصلية ليحقق هذا الغرض — غرض وصف إخلاص خدمها لها — ونقصد بها ، أي بالدراما الأخرى ، انتحار هيلانة ، رغم وجود عاطفة بينها وبين حابي .. ولكنه استدرك استدراكا — ليته ما استدركه — فلقد تخبط فيه بعد أن حله بمعجزة . . ! « معجزة حقة هي النجاة التي أعطاها أنوبيس لحابي حتى تنجو هيلانة بعد ذلك . . »

ويكفي هذا المنظر[2] لنعلم إلى أي حد كان شوقي حريصا

---

(١) يرى الأستاذ توفيق الحكيم أن الجاحظ نوعا من الحوار التمثيلي ، يقول : « كنت أقرأ الجاحظ منذ عامين ، فألفيت عنده كلاما كالحوار التمثيلي »
من مقال له بعنوان (من أدب الجاحظ) بمجلة الرسالة — السنة الأولى

(٢) آثرنا أن نوجز في الاستشهاد على طبيعة الحوادث ، مقتصرين في ذلك على المنظر الأول ، لما في حوادث المسرحية من اطراد في أسلوب السبك ، والتوفيق بينها ، أي بين الحوادث

على أن تكون الحادثة التي يوردها مؤدية إلى أهدافه التي يرى إليها ؟ فطبيعة الحوادث كانت منتقاة انتقاء خاصا ، في شيء كثير من الاصطناع والتمحل ، الأمر الذي يبعد المسرحية عن الجو الواقعي الطبيعي إلى حد كبير ..

زد على هذا الخطأ الذي ارتكبه في اعتماده على المعجزة كما قدمنا

ب — طبيعة الحوار :

يتميز الحوار في مسرحية كليوباترا بقوة في واقعيته وطبيعة تكوينه حينا ، ويضعف في واقعيته وطبيعته حينا آخر . . . ومرد هذه الذبذبة بين القوة والضعف شيء واحد ، هو تمكن شوقي من ناحية النظم . . .

إذ أنه عندما يستهويه معنى من المعاني يخرج عن طبيعة الحوار ، إذ يغريه ذلك بالاسترسال ، فيطيل إطالة غريبة شاذة عن الواقعية في فاعلية الحوار ، وحركته الجدلية الطبيعية ، وتجاوبه المألوف.. خذ مثلا حوار أوروس وأنطونيوس ابتداء من ص ٥٨ ، فإن مشاركة أوروس في الحوار لا تتعدى خمسة أبيات على حين أربت أبيات أنطونيوس على السبع صفحات . . . لا لشيء إلا لأن شوقي يريد أن يفرغ جعبته من الألفاظ الحربية المستمدة من الثقافة العربية الصرفة ، غير مبال بخرقه لقواعد المنطق السليم فيما يكون بين المتحاورين . . على حين أنه — كما قدمنا — كان يمتلك ناحية الحوار حتى ليصل به إلى قوته الواقعية بنفس السلكة — ملكة النظم . . .

فتراه مثلا يدير دفة الحوار في سرعة ، وتجاوب ، وتفاعل.. فلا تزيد العبارة عن لفظة ، ويكتمل المعنى في كل ذلك ، ومثلنا على ذلك الشواهد التالية :

يا ابنتي ودي هلما زيناني للمنيه
غلاني طيباني بالأفاويه الزكيه
البساني حلة تعجب أنطونيوس فيه
من ثياب كنت فيها أتلقاه صبيه
ناولاني التاج تاج الشمس في ملك البريه

وانثرا بين يدي عر شي . . الرياحين البهيه

… إنما نرى أن شوقي قد ركز شاعريته على الفصل الرابع فهو قد كان يعلم — وهو الشاعر المقتدر الأريب — مبلغ تأثير خواتيم الأحاسيس في النفوس

لقد كان يعلم أنه — لا بريق اللفظ ، ولا رنين الجرس ، ولا تصوير عظمة الملك . . بأدوات كافية لإثارة العطف على البطلة … وإنما يحدث هذا التأثير تصوير جوانب الضعف الإنساني

م — لمحات نفسية :

ج — الفنان الذي يقدم للمسرح إنتاجه مطالب من الوجهة النفسية بشيئين :

أولهما : الفهم العميق للحركات النفسية لأبطال مسرحيته ، وثانيهما التنبه لمواد التأثير في نفوس النظارة ، الذين يتلقون هذه المسرحية بما يتفق والغرض الذي يرمي إليه من إثارة نفوسهم … وبمعنى آخر ، فيما يتصل بموضوعنا . نريد أن نقول إن شوقي مطالب — إلى جانب فهمه لشخصيات أبطاله — بأن يوجه أدوات التعبير وجهة تأثيرية قوية ، على من يطمع في رضائهم عن أبطاله ، بما يحقق هدفه … وهدف شوقي في هذه المسرحية ، فيما يبدو ، هو تبرئة ساحة كليوباترا … فكيف تأتى له ذلك .. ؟

لقد اهتم اهتماما واضحا جليا بمس الجوانب الإنسانية من شخصية البطلة … جعل لها بريقا .. ثم أطفأه .. وإن « المصائب المنزلية ، والحوادث الاجتماعية لا تدهشنا حقيقة كما تدهشنا مصائب الملوك ، ومخاطر الأبطال ، وحوادث القصور . . ولكنها تؤثر فينا كل التأثير ، لاتصالها بنا ، واقترابها منا ..» كما يقول أستاذنا المتمكن الزيات بك في بحثه الفريد عن الرواية المسرحية في التاريخ والفن

لقد بث شوقي في تضاعيف شخصية البطلة كل ما يمكن بثه من خصائص الأنثى الجذابة المحبوبة العاطفية ، ثم بالغ في لمس حياتها الحزينة ، التي تستثير العطف والرثاء . . فقد بدأ الفصل الرابع ، واستلهم أسلوب المفاجأة العاطفي (الرومانس) وأجرى على لسان كليوباترا صرخة المرأة التي سلبت حبيبها ، وتفردت بالألم . . ثم أجرى حديثا بينها وبين وصيفتها ، ليس فيه شيء

٤ – رحلة إلى ديار الروم

للسيد مصطفى البكرى الصديقى

للأستاذ سامح الخالدى

الشيخ يستكرى محلا فى المركب ، وشروعه فى السفر الى مصر بحرا :

« وبت ليلة الجمعة في (قاسم باشا) لدى صديقنا الحاج محمد اليالقجى ، لدعوة سابقة لأجل حضور زواج ابنته ، ثم بت ليلة السبت لديه أيضا لخلوصى فى مودته ، واستكرينا محلا فى المركب المسافر لديه ، وكانت هاتان الليلتان باجتماعنا بالوالد السيد محمد عقود اللبثين ، وأخبر فى الليلة الأولى أن بعض الناس دخل فى بغاز الأندلس لدائن لا تحصى ، وعاين فيها غرائب لا تستقصى ، وحدث عالم لم يدمع ، وفى الكتب لم يودع ، وأن رسالة المرائس ، وشرح الصلوات الشيشة المسمى بازوضات المريشة نقلت منهما الطائفة الحنابية نسخا كثيرة ، وكذلك الابتهالية التى مطلعها (يارب بالذات العلية)

« وفى الليلة الثانية كانت المذاكرة فى الكنز المطلسم والاسم الأعظم ، وكنت أسمعته الكتابة التى كتبتها فى الجزء الثانى ، من (شرح الورد السحرى) الربانى على الاسم الكريم فقال لم يبق فى هذه الأسطر القليلة ، مايحتاج لذكره إلا ذكرته بعبارة قصيرة غير طويلة ؛ وأسمعته فى ذلك المجلس النبوية المسماة (بجريدة المآرب ، وخريدة كل شارب) فقال لم أر فيها رأيت صلوات أجمع منها بأنك ذكرت فيها الآل والأصحاب ، والخلفا الأنجاب ، والمجتهدين الأقطاب ، والختم وأعوانه الأنساب

وبت عنده قبل هذه الجمعة ليلتين ، طيبتين ، وحدث فيهما من أخبار الخليفتين ، المهد والمهدى الأنورين والأفخرين . وفى ليلة الاثنين دعانا الحاج مصطفى بن كشيش للمشا عنده صحبة الوالد ، ثم ودعنا الداعى بعد المبايعة »

« وسرنا معه (أى الداعى الحاج مصطفى بن كشيش) وبعض المحبين إلى البحر وبتنا فى المركب بعد الوداع بليلة متسمة ، وجاءنا فى الصباح الأخ المتاح الشيخ ذروق ، والحاج مصطفى المشوق ، والأخ الشيخ عبد الوهاب التيمى الخليلى ، وغيرهم من أحباب ، وجاءنى تابع ابن العم المنلا محمد بالقامة الشامية والمزية السامية ، وطلب الاندراج فى سلك أهل المراج ، فأجبته لطلبته ، وأسعفته برغبته »

الشروع فى السفرة البحرية — مع الآستانة الى الاسكندرية :

« وسرنا قبيل الظهر من (بشك طاش) إلى (قوم لى)

مما يكون بين السيد والمسود ، فتركها إنسانة مجردة من كل شئ إلا من إنسانيتها … ثم صور أسى العظيم المهزوم حين تسمع كليوباترا دبيب حارس الأعداء فتقول إنه : (معربد الخطو من نشوة النصر لا تسع الأرض رجليه من كبر)

حتى إذا حادثها الحارس صانعته فى غير كبر الملك ، ثم تلتفت إلى وصيفتيها قائلة :

يا شرميون تملى الدنيا ويا هيلانة اختبرى الزمان القاسى
إن التى حرست بأبطال الوغى باتت تصانع سفلة الحراس

حتى إذا ما جاء حابى صالحته مصالحة الإنسان للانسان ، لا مصالحة الملك لفرد من الرعية ، تقول له :

وفيت لى حابى ولم تكن تقى

ثم تتلطف مع خدمها فتقول للوصيفتين:

يا خادمى ، بل ابنتى ، تلطفا فى البحث حتى تأتيا بإياس

وتقول :

ياربع صحبى بعد طول سرورهم قعدوا إلى أحزانهم يبكون

وتقول:

أنشو .. يعز على أملك ساهم يبدو عليك الهم والتفكير

البقية فى العدد القادم السويس صبحى كامل عزمى

والمقل من الفراق طاش، وبتنا في أكنافه وقدحفنا الله بألطافه ، ووجهنا دفة الانكسار إلى ناحية (بغاز حصار) وأقنا الثلاثاء والأربعاء، وفي الإقامة نرجو السلامة لنا الفؤاد وما ، ورحلنا عند يوم الخميس متوجهين إلى مسامتة جزيرة (ساقز) ولم نقف عندها حتى أتينا (استن كوى) وقاربنا حدها وأقنا لدى (قره باغ)(١) ثلاثة أيام، ومررنا في اليوم الرابع من خلف (رودس) بسلام ، ودخلنا الإباحة ونحن في بسط وراحة ، وداركنا المولى بالعناية ومن بفضله بالرعاية ، فطوى شقة الشقة الطويلة وجاد بإمداد مآثر جميلة . وكان صديقنا الأمجد السعيد الشيخ خليل أفندي أبو سعيد، مفتي الديار المقدسة حالا، أصلح الله منا ومنه مآلا وحالا، ممن نزل في المركب المذكور، طالبا المنزل المعمور ، وصحبته الشاب النجيب الحيم السيد إبراهيم نجل المرحوم الشيخ موسى الفتيانى (٢) منبع التدانى »

« وفي يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر رجب وصلنا الإسكندرية المحروسة ذات الوهب ، ولما وصلناها وحللنا فناها جاءنا أرباب المكس (الجرك) والنكس، الذين قرب زوالهم دون لبث ومكث، لأنهم أهل حل وعقد ونكث ، وفتشوا الأثواب ورموا البعض على التراب، فتغير الفؤاد، من فعل هؤلاء الأوغاد معنا ومع جملة العباد ، ورجونا المولى الجواد بدفع هذه الأنكاد، عن أمة الهدى والرشاد، وتقريب زمن الإسعاد ، بظهور نور مهد البلاد والأغوار والأنجاد ، بجاه سيدنا محمد سند الأفراد وآله وصحبه الأجواد »

وصف الرحالة الأندلسي ابن جبير (لجمرك الإسكندرية) قبل الشيخ البكري بخمسة وسبعين سنة !

لعل من الطريف أن نأتي هنا على ذكر ما قاله ابن جبير الرحالة الأندلسي ، عن جرك الإسكندرية ، فنرى أن الحال لم تتغير كثيرا في معاملة الوافدين على ثغر الإسكندرية ، مع اختلاف العهدين :

قال ابن جبير في رحلته طبعة ١٣٢٦ . ص — ٧

«شهر ذي الحجة من السنة المذكورة (٥٧٨ هـ ١١٨٢ م) أوله يوم الأحد ثاني يوم نزولنا بالإسكندرية ، فمن أول ماشاهدنا فيها يوم نزولنا أن طلع أمناء إلى المركب من قبل السلطان بها ، لتقييد جميع ما جلب فيه ، فاستحضر جميع من كان فيه من المسلمين واحدا واحدا وكتبت أسماؤهم وصفاتهم وأسماء بلادهم وسئل كل واحد عما لديه من سلع أو ناض ليؤدي زكاة ذلك كله دون أن يبحث عما حال عليه الحول من ذلك أو لم يحل ؛ وكان أكثرهم متشخصين لأداء الفريضة لم يستصحبوا سوى زاد لطريقهم فلزموا أداء زكاة ذلك دون أن يسأل هل حال عليه حول أم لا ، واستنزل أحمد بن حسان منا ، ليسأل عن أنباء المغرب وسلع المركب ، فطيف به مرقبا على السلطان أولا ثم على القاضي ثم على أهل الديوان ، ثم على جماعة من حاشية السلطان ، وفي كل ، يستفهم ثم يقيد قوله ، فخلى سبيله ، وأمر المسلمون بتنزيل أسبابهم وما فضل من أزودتهم . وعلى ساحل البحر أعوان يتوكلون بهم ويحمل جميع ما أنزلوه إلى الديوان فاستدعوا واحدا واحدا وأحضر ما لكل واحد من الأسباب ، والديوان قد غص بالزحام ، فوقع التفتيش لجميع الأسباب ما دق منها وما جل ، واختلط بعضها ببعض وأدخلت الأيدي إلى أوساطهم بحثا عما عسى أن يكون فيها ثم استحلفوا بعد ذلك ، هل عندهم غير ما وجدوا لهم أم لا ؟ وفي أثناء ذلك ذهب كثير من أسباب الناس لاختلاط الأيدي وتكاثر الزحام، ثم أطلقوا بعد موقف من الذل والخزي عظيم ، نسأل الله أن يعظم الأجر بذلك ، وهذه لا محالة من الأمور الملبس فيها على السلطان الكبير المعروف بصلاح الدين ، ولو علم بذلك على ما يؤثر عنه من العدل وإيثار الرفق لأزال ذلك ، وكفى الله المؤمنين تلك الخطة الشاقة واستردوا الزكاة على أجمل الوجوه ، وما لقينا ببلاد هذا الرجل ، ما يلم به قبيح لبعض الذكر سوى هذه الأحدوثة التي هي من نتائج عمال الدواوين » . انتهى ابن جبير

(١) ومناها الكرم الأسود (٢) عائلة مقدسية معروفة

الشيخ البكري يزور الإسكندرية

ولنرجع الآن إلى الشيخ البكري فإنه بعد أن قاسى على أيدي أرباب المكس في الإسكندرية ماقاسى يقول :

« واجتمعنا بالصالح الفالح الذي على الفضائل حاوي، الشيخ مصطفى الشمراوي ، خطيب سيدي عبد الله المغاوري فأنزلنا داراً قريبة من داره ، فقر بها قراري، وكان رفيقنا السيد إبراهيم الفتياني هو المعرف والدليل المنزل الثاني »

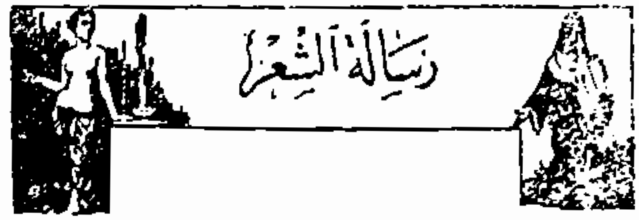
« وفي يوم الثلاثاء ضحوة النهار توجهت إلى زيارة رجالها الأخيار ، فأول من زرته منهم رضي الله تعالى عنهم، جناب سيدي عبد الله المغاوري ، ثم زرت الموازيني ونزلت لدى سيدي محمد شرف الدين الأبوصيري وصليت لديه ركعتين، وزرت بعده جناب سيدي الإمام أبا العباس أحمد بن عمر الأنصاري ، خليفة الأستاذ اللاذ الولي ، سيدي أبي الحسن على الشاذلي، وزرت ضريحاً لصيق ضريحه الطيب المهاب، يقال إن فيه من له إليه انتساب، ثم توجهت على الأقدام لزيارة سيدي ياقوت العرشي ، ثم زرت سيدي مكين الدين الأسمر الأزهر ، الأنور الأبدر الأقر ، وغيرهم من سادات أعيان

« وفي ضحوة يوم الأربعاء توجهت لزيارة رجال العتيقة فرأيت آثار سورها مهدمة ، كادت أن تكون منعدمة، ونرجو لها العمار وتشعشع الأنوار في تلك الديار ، فإن آية ليل محاسنها محيت بها والدمار ، حتى كأنها لم تكن في سالف الأعصار ، وذهبنا إلى جامع العطارين ، وزرنا المصحف العثماني، وزرنا الشيخ عبد الرزاق الوفائي ، والشيخ على البدوي والشيخ مفرح وأبو غزالة ، والشيخ جابر والشيخ يعقوب والشيخ صفوان والشيخ العجمي ، والصووي والفتياني ؟ وجامع العطارين الثاني ، وغيرهم من أرباب تداني وأصحاب تهاني»

في مدينة رشيد :

« وفي يوم الخميس توجهنا صحبة أصحابنا من كل ونيس نحو (رشيد) التي سا كنها رشيد ، وصلينا الظهر لدى الجبانة، وزرنا الشاطبي رفيع المكانة ، وقطعنا المدية ليلا بعد الاتيا والتي ، وصلنا على تلك المعاهد وبتنا مع مفتينا السابق، الذي للمحامد يسابق ؛ في الوكالة . وبعد صلاة الصبح توجهنا نحو (رشيد) مستمدين من أهلها السادة أهل المكانة والجلالة ، في (وكالة الباشا) في الطبقة العالية مع رفاقنا أهل المراتب الغالية ، وحصل بعض مطر ، منع من زيارة ساداتها أرباب المقام الأعظم ، ثم إنا في ظهر يوم الاثنين المبارك توجهنا صحبتهم في معاش في السير نتشارك ، ونزلنا إلى زيارة الشيخ محمد أبي العباس البالي مرتبة التداني على أساس ، وصليت لديه الظهر جامعاً للعصر مقلداً للامام ابن أدريس رفيع القدر منيع النصر ، ثم أهديت بقية رجالها الفواتح كالحلاوي وأبو الريش والعرابي وسكان كوم الأفراح. ولما سامتنا الشيخ أبا منصور قرأنا له الفاتحة ، وما زلنا إلى الساعة الرابعة من الليل بالليان نسير ، إلى أن وصلنا بمعونة الكبير إلى مساواة (محلة الأمير) ولم تنم إلا اليسير ، خوفا من طروق سراق ، لم يلج فيه الغير فاق ، وأخبرنا أنهم ربما هجموا على المائش جماعة، لكل شر وضر جماعة ، فتعوذنا بالله من شرورهم ، والتجأنا إليه في رد كيدهم في نحورهم ، ووجدنا في الصباح أقاح برد حادق، برد الفرزان من الغلمان إلى مرتبة البوادق، وكنت وضعت في البحر المالح ورداً يناسب استعماله فيه والحلو صالح ، ووسمته (بالجوهرة الثمينة.. فيما يقوله راكب السفينة)

« ومررنا ضحوة النهار على سيدي محمد الهلالي ودفينه والشيخ يوسف المغربي ، وسيدي على الخزرجي ، وسيدي عبد الوهاب أبي مخلوف والشيخ عامر والهيبي ، فقرأنا لكل منهم الفاتحة وهاج عند الظهر ريح في وجهنا شديد ، فربطنا لما لم نستطع المشي لدى ملقة نسمها للفر مفيد ، وعند الغروب سرنا لما سكن ذاك الهوا المهبوب ، وما زالوا يجررن اللبان ، إلى أن عمود نصف الليل بان، وربطنا عند صلبية، ورجال لنا بالبر عجيبة ، وبعد بزوغ الشمس ، وكان الهم أبعد منه أمس ، قرأنا الفاتحة لفرد هذه النواحي ، القطب الذي الأمداد بناحي، سيدي إبراهيم الدسوقي ، ورجينا منه الشفاعة بحل قيودي ووثوق ونشر قلوصي ، ووقد شموعي ، وما زلنا بالقلوع نسير، والحق يهون كل عسير ، إلى أن



من ذكريات باريس :

الخطو الناعم . .

« حسناء إسبانية التقى بها الشاعر فى باريس فكانت وحى هذا اللحن »

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى

حينما تخطرين ينداح ظل عبقرى الرؤى ويشرق فجر
وإذا أنت والطريق ابتهال قدمى وخطوك الحلو شعر

وصلنا بلدة الشيخ حسن الولى، الحسن، فهاج ريح، وماج البحر الفسيح، ولم يمكنا الذهاب لتراكم السحاب، وطبق الجو بزائد النو، وسحت الأمطار مصحوبة بألطاف الستار، ولما أذن مؤذن الصباح بحيعل بحيعل الفلاح، سرنا إلى أن سامتنا (دسوق) ذات اللامع والبروق، والطلوع والشروق، ثم لما مررنا على (مرقص) التى يحق لها أن ترقص طرباً بحلول أبى الجد فيها قدس الله سره، فقرأنا له الفاتحة، وعندما جئنا محلة أبى على زرنا على البعد كل من حل بها من ولى، وهى على ما قيل ثلث الطريق، فقلنا عسى ان يسمف الولى بالربح الربيح من التعويق، وقرأنا بالخصوص الفاتحة لابن الشرى، وما زلنا نسير بمعونة السميع البصير، وكلما جزنا على قبة علم كبير، قرأنا له الفاتحة، وجونا كامل البشير، فقلت :

الا يا ظاهرين بقطر مصر أغيثونى وزيحوا غيم حصرى

« ثم إنا ربطنا لدى الشط، ووارد الأكدار شط، ومرنا غب الغروب، ليلا مع مماشات كثيرة لها للسير هبوب، إلى أن وصلنا قرية «شابور» وبتنا بها فى سرور، ورأينا فيها هلال شعبان المبارك

للكلام بقية سامى الخالدى

تتندى الظلال أنى تمرين ويخضل فى الربى الفيح زهر
وإذا بالطريق يعقد والنو ر على جانبيه عرس وبشر

• • •

خطوك الحلو يا عروس قصيدى هينات الفراش فوق الورود
أو خفوق النسيم فى الأفق الخضل بالنور فى الربيع الوليد
أو رفيف الجناح رف على الروض يحيى بزوغ فجر جديد
حينما تخطرين ينطلق اللحن رخيم الإيقاع حلو النشيد

• • •

خطوك الناعم الرشيق انثيال الطيب من برعم تفتق عطرا
حيثما سرت فالدروب ارتعاشات غناء يموج فى الأفق سحرا
خطوات كأنها خطرات الحلـم إن راود النواظر فجرا
يرقص الصخر تحتها ويذوب الصمت فيها، وتنطوى الأرض طرا

• •

لا حدود، ولا دقائق إن سرت وليس الوجود إلا صدانا
عدم مطلق متى لفنـا الحب نسخنا من الحياة الزمانا
ما الوجود الجميل لولا هوانا غير نار تنفست عن أسانا
أنذوق الهوى ونبقى ظماء ونصب الهوى ونخشى فنانا

• • •

أتمدين بالثوانى لقاء من حياة تعد بالساعات
اتركى الشيب تلك الضلالات ولا تحسبى حسابا لآت
أبدع العقل ما ترين لينجو من لهيب الفراغ والأوقات
ملأ الحب كوننا فنسينا كل شئ سوى جمال الحياة

• • •

نحن فى فجر عمرنا كنسيم الفجر فضنا وكالسنا إشراقا
كلحون الربيع غنى بها الطير وكالعطر فى الفضاء انطلاقا
فتعالى نبث فى الأفق الساجى أغاريد حبنا أشواقا
حسبنا فى الوجود أنا عشقنا وأخذنا من الهوى ميثاقا

• • •

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

أشواق إلى المتاعب :

ما زلت أذكر مسرحية « حورية من المريخ » التي قدمتها من نحو شهرين فرقة المسرح المصري الحديث ، تلك المسرحية التي تقوم فكرتها على أن الإنسان يضيق بما يجري حوله على هذه الأرض وما يحدث له من متاعب في حياته ويود لو خلص منها ، فإذا أتيح له الخلاص مما يقلقه ويشقيه ، إلى حياة ناعمة صافية لا يجد فيها من يشغب عليه ويبالكده ، ضاق بها وشقي بهذه « السعادة » التي تحرمه ما جبل عليه من حب الشغب والميل إلى خلط الصفو بالكدر

شاهدنا في المسرحية الزوج الذي يتبرم بزوجه لما تأتيه من تصرفات حمقاء وما يعانيه من شقاق بينهما الدائم ، ثم يرى فيما يرى النائم حوريات من المريخ . . ولا بد أن تعجب من منافسة المريخ للجنة ! ولا أحب أن أدعك في هذا العجب فأفسر لك السبب قبل أن نمضي في الحديث :

عرضت المسرحية – وكان اسمها « حورية من الجنة » – على الرقيب بوزارة الداخلية ليجيز تمثيلها ، فاستأنى حتى طالت لحيته . . ولبس عمامة كبيرة . . ثم أفتى – نجانا الله من فقهه . آمين – بأن الحورية لا يجوز أن تهبط من الجنة إلى المسرح ولا حرج أن تهبط من المريخ ، وإن لم توجد في المريخ حوريات فيجوز أن تنتقل من الجنة أولا إلى المريخ ، ثم تسافر منه إلى مسرح حديقة الأزبكية الصيفي . . فلم يسع الأستاذ زكي طليمات إلا أن يرضخ و « يخرج » الحورية من المريخ كما يستخرج الشراب من الفسيخ . .

وأي ذلك الزوج ثلاث حوريات يرقصن ويغنين ، فأحب إحداهن وأحبته ، ورضيت أن تعيش معه على سطح الأرض زوجة وفية مخلصة ، وجرت الأمور بينهما كما تجري في . . . المريخ ! فلا مخالفة ولا شقاق ، بل طاعة عمياء وصفو خالص ، ولكن يظهر أن في الإنسان غريزة لم يكشفها علماء النفس بعد ، هي غريزة المشاغبة التي تدفعه إلى الهرب من الاستقرار والراحة والدعة ليطلب المتاعب و (المناكفات) فاشتاق الرجل إلى زوجته الأولى وإلى مشاغباتها اللذيذة الممتعة ، حتى قيض له ما أراد ، واستيقظ من النوم ليجد زوجته الأرضية عائدة من السينما . . .

ذكرت تلك المسرحية الممتعة وحوادثها الشائقة ، وأنا في هذا المصيف الهادئ النائي الذي يكاد يشبه المريخ في الخلو من الحوريات . . والذي لجأت إليه من نحو شهر هربا من متاعب القاهرة وحرها وزحامها وخلوها من البطابخ (الشلين بلاك)

وقد أخذت هذا المصيف القطري لأكون بعيدا عن زحمة المدن ومثيرات الأعصاب فيها ، وآثرت أن أخلد إلى السكون والراحة التامة ، ورجوت صديقي الشاعر ، وهو يصطاف قريبا مني أن يجنبني سماع ما يقرض .

وتم لي ذلك وشملني السكون وتلقاني البحر ، يدعوني إليه أحيانا فيبل ما جف من أعصابي ، ثم لا يلبث أن يضجر مني فيقذفني إلى رمال الشاطئ ، فأرتمي عليها وأشكو إليها ضيق وجراح نفسي . . .

ثم وجدتني أهرع إلى صديقي الشاعر لأسمع منه ، وآخذ مع الرفاق في حديث الأدب والفن ؛ بل أجرهم إليه وأحاورهم عليه

وأنظر حولي فلا أبصر إلا الماء والرمل والسماء ، واشوقا إلى القاهرة وإلى الاضطراب في أنحائها والاختلاف إلى ما جريت على الاختلاف إليه فيها ، بل إلى صخبها وضجيجها وزحامها

كان البحر يقول لي : هنا الروح والدعة ، فتعالى إلى ودع الدنيا وأنى مشاغلها على الشاطيء واغسل همومك بين أحضاني

ثم صوت أسمع من أمواجه الصاخبة المتحاربة دائما : أن هلم إلى معترك الحياة وعد إلى معامعها ، فالسكون موت والحركة حياة

وما أزال مصغيا إليه ، أستمع ولا أقتنع ، انتظاراً للعاقبة التي أقتدر بها على تمام الاقتناع .

ابن حمديس

تلقيت من الصديق الكريم الذي لم أتشرف بلقائه بعد ، الأستاذ الشاعر عبد القادر رشيد الناصري ، رسالة مطولة ناقش فيها رأياً للاستاذ عباس محمود العقاد في « ابن حمديس » الشاعر الصقلي ، والرسالة هي كما يلي بعد شيء من الاختصار وحذف التحيات التي يستحق الأخ أحسن منها :

أنا لا أنكر أن الأستاذ العقاد ذهن جبار متوقد ، بل هو أكثر أدباء الشرق ثقافة ، فهو أديب وشاعر وخطيب وسياسي وناقد ومترجم ، وإن كان شعره لايبلغ منزلة نثره ، ولكني قرأت له قبل أيام رأيا استغربت أن يصدر من رجل مثله له مكانته في عالم النقد ، وهذا الرأي منشور في الصفحة (٩٣) من كتابه « خلاصة اليومية » ولم أكن قد اطلعت عليه قبل الآن ، يقول عن ابن حمديس : شاعر صدت عنه الشهرة بعد أن أقبلت عليه ، وطواه الخمول بعد أن طبق ذكره الآفاق ، ولكن هذا الشاعر المجهول قد زاد بديوانه على ثروة اللغة العربية ذخيرة أضاعها التفريط ؛ وأودع من المعاني مالم يضمنها إياها شاعر عربي آخر . ولقد كان ينبغي أن لانذكر المتنبي وابن أبي حفصة وابن هانئ وغير هؤلاء من محترفي الشعر ــ كان ينبغي أن لانذكرهم مرة إلا ذكرنا ابن حمديس مرارا ؛ هذا الذي لايذكره قراء العربية إلا كما يذكرون شعراء القزب والصين ، ولولا (ابن) قبل حمديس لما درى أكثرنا إن كان اسم رجل أو اسم مكان؛ ثم يسترسل العقاد حتى يقول :

وما ألطف قوله

تطيب أفواههن الحديث ... بحمر الشفاه وبيض الثغور
كما مر بالورد والأقحوان ... نسيم مشوب بريا العبير

ألا يترشف من بيتيه هذين رضاب الحسان ، وتتنسم ريح الورد والأقحوان ؟

وما أغزر دموع هذين البيتين :

ويا ريح إما مريت الحيا ... ورويت منه الربوع الظماء
فسوقي إلى جهام السحاب ... لأملأهن من الدمع ماء

وهل قال « شلي » في قصيدته « القنبرة » أحدث من هذا

أصبا هبت بريحان الصبا ... أو شمال أسكرتني بالشمول
حيث غنتني شوادي روضة ... مطربات بخفيف وثقيل
في أعاريض قصار خفيت ... دقة في الوزن عن فهم الخليل
ولحون حار فيها معبد ... وله علم بموسيقى الهديل
والدجى يرنو إلى صاحبه ... بعيون من نجوم الجو حول

وأين بيتا صبري وشوقي في تنزيه صاحبتهما عن هذا البيت :

لا تنكرى أنك حورية ... روائح الجنة نمت عليك

وإلى هنا يختتم الأستاذ العقاد كلامه عن هذا الشاعر ، وتراه يوازن بين ابن حمديس وباقي الشعراء فيجعله في مصاف المتنبي والبحتري وابن هانئ ! في أي ميزان من موازين النقد يوضع ابن حمديس مع المتنبي والبحتري ؟ ويقول العقاد إن ابن حمديس أودع اللغة العربية من المعاني ما لم يضمنها إياها شاعر آخر ! إذن أين مكان ابن الرومي وأبي تمام وأبي نواس وبشار بن برد وابن المعتز ؟ وما هي الثروة التي أضافها ابن حمديس وشعره لا يتعدى التقليد لشعراء بني العباس وبني أمية ؟ وكيف يتهم الأستاذ العقاد أدباء العربية بجهل ابن حمديس ؟ !

أما قوله من بيتي ابن حمديس « تطيب أفواههن ... الخ » فأحيله إلى الأستاذ العقاد وأقول له إنني لم أترشف منه رضاب الحسان ، ولا أتنسم ريح الورد ، وعندي أن أبيات بشار في

وصف أحاديث الحسان خير بكثير من هذين البيتين ، وكذلك أبيات ابن الرومى وبعض ما قال عمر بن أبى ربيعة ، ولا شك أن الأستاذ العقاد مطلع أكثر من غيره على كل ما ذكرت

والعقاد بعد هذا أكثر أدباء العرب فهما للأدب الإنجليزى فكيف يقول إن أبيات ابن حمديس اللامية خير من قصيدة « شلى » فى وصف القبرة ؟ وهذه القصيدة لا تعد فذة فى الأدب الإنجليزى فقط بل فى الأدب العالمى الغنائى ، ومن شاء فليرجع إلى نصها الإنجليزى أو ليقرأها مترجمة إلى العربية ، وخير ترجمة لها ترجمة المرحوم على محمود طه وهى منشورة بكاملها فى كتابه « أرواح شاردة » فهل توافقنى أيها الصديق على أن قصيدة ابن حمديس التى ذكرها العقاد لا تقاس بقبرة شلى إلا كما يقاس الصدف بالدر ؟

ويقارن الأستاذ العقاد بيت ابن حمديس :

لا تنكرى أنك حورية روائح الجنة نمت عليك

ببيتى صبرى وشوقى ، ويقصد بيت صبرى (إسماعيل صبرى باشا) :

أنت روحانية لا تدعى أن هذا الحسن من طين وماء

وبيت شوقى :

صونى جمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحانى

أما أنا فأقول إن بيت شوقى أحسن الأبيات وأحفلها وأقواها ديباجة وأملؤها للنفس . ولولا « روائح الجنة » التى اقتبسها من أبى العتاهية لما بقى للبيت أى جمال . وأترك لك يا صاحب الأدب والفن فى أسبوع المقارنة بين الأبيات الثلاثة

فهذا الشاعر الذى أعجب به العقاد لو درسه الأدباء دراسة استقصاء وبحث لعلموا أن الأستاذ العقاد لم ينصف المتنبى وابن هانئ عند ما قرنه بهما . هذا هو رأيى . وأقول أكثر من ذلك إنه لولا بعض القطع التى تحفل بالصور الشعرية فى شعر ابن حمديس لما استحق الذكر ، فهل أقرأ رأيك فى هذا الذى ذكره الأستاذ العقاد قريبا ؟ ودم لأخيك :

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

أجل يا صديق . سأدلى برأيى ، لا فيما قال به أديبنا الكبير فحسب ، بل كذلك فيما ارتأيته أنت ، وسأخالفك فى بعضه ، وقد خالفتك من قبل فى بيت للدكتور إبراهيم ناجى ، وأكبر الظن أنك أوسعت صدرك لتلك المخالفة ، وأكبر الظن أيضا — كما يعبر عميدنا الدكتور طه حسين باشا — أنك موسع صدرك للمرة الثانية فى هذه المخالفة الجديدة

أصدر العقاد كتاب « خلاصة اليومية » من نحو ثلاثين سنة ، ولعله أول كتاب ظهر له . وقد درس بعد ذلك ابن الرومى وابن أبى ربيعة وابن برد وغيرهم من شعراء العربية دراسة دقيقة مستقصية ، ولا بد أن قد تبين له من تلك الدراسات أن ما أودعه ابن حمديس اللغة العربية من المعانى لا يعد شيئا بجانب ما ضمنه إياها شاعر كابن الرومى مثلا

وقد كان ابن حمديس مجهولا حقا فى ذلك الوقت ، وقد التفت إليه الأدباء بعد ذلك ، وإن كانت هذه التفاتات يسيرة ، وأذكر أننا سمعنا محاضرة قيمة عن هذا الشاعر الرقيق من الأستاذ السباعى بيومى بك ، ألقاها سنة ١٩٤٣ فى ناد بالخرطوم ، وكنت هناك فى ذلك الوقت

وديوان ابن حمديس غير متداول فى مصر ، ولم أر له غير نسخة واحدة بدار الكتب المصرية ، طبعها ونشرها أحد المستشرقين . ولابن حمديس بيت سائر معجب هو :

أراه إن نظرت وإن هى أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وهذا يدل على أن الشاعر أصبح معروفا ، وإن لم ينل بعد حقه من التعريف به ودراسته ونشر شعره

وأنا أوافقك يا صديق على أن ابن حمديس لا يبلغ شأو من ذكرت من الشعراء ، هذا ابن هانئ الأندلسى على رغم ما يقولونه من أنه « متنبى الغرب » ولا أتحرج من المصارحة بأنى لا أجد مصداق كل ما يقولون فى شعراء الغرب العربى وفى أشعارهم . ولا أرى العربية ظفرت فى عصورها المختلفة بأمتع وأبدع من شعر شعراء بغداد فى عهد بنى العباس ، وليقل من

بشاء فى جمال الطبيعة وتأثير البيئة الطبيعية ما يقول

ولكنى مع ذلك لا أرى ابن حمديس فى المكان الذى نزلت به إليه ، وأراك قد حملت على أبياته حملة غير منصفة . وقد قرأت وصف بشار وابن الرومى لأحاديث الحسان فى أبيات جميلة لست أذكر نصها ، وليس لدى من الكتب فى مصيف النائى ما أرجع إليه من أجلها ، ولكن هذا لا يغض من جمال بيتى ابن حمديس . أما ابن أبى ربيعة فلست أعلم عنه إلا حكايته لأحاديث النساء ، وهى شئ آخر غير وصف أحاديثهن . ويشبه معنى ابن حمديس بيت للمرحوم مصطفى صادق الرافعى هو :

إذا ســألوها لجلجت فكأنما
غرا اللفظ — لما مر من فيها — سكر

وتصوير الرافعى للفظ المترنح بديع

ولست أدرى يا أخى لماذا لا يعجبك قول ابن حمديس :

لا تنكرى أنك حورية روائح الجنة نمت عليك

وكيف تفضل عليه بيت شوقى ؟ حقا إن بيت أمير الشعراء أقوى ديباجة ، ولكن انظر إليه وهو يأمرها أن تبتعد عنه وهو أمر لا يستساغ مهما كانت الأسباب . وخاطر شوقى ذهنى جاف لا يندبه ماء الشعور . أما « روائح الجنة » فهى تدل على ماوراءها من حس مرهف . وإنك تظلم الشاعر إذ تسلبه فضل هذا التعبير لأن أبا العتاهية سبقه إلى الكلمة فى قوله :

إن الشباب حجة التصابى
روائح الجنة فى الشباب

فإن استعمال كل منهما « روائح الجنة » غير استعمال الآخر وليس هناك أية صلة بين المعنيين .

والحمد لله على أن أهملت بيت صبرى فى المقارنة بين الأبيات الثلاثة .. وإنى لعلى يقين أن التى يصفها لم تدع أن حسنها من ماء وطين .. حتى يقف منها موقف الفند لدعواها !

وقد استحسن مؤلف « خلاصة اليومية » مخاطبة ابن حمديس للريح لتسوق إليه السحب الخالية من المطر ليملأها من دمعه لأنها تدل على غزارة دمعه ، وهى مبالغة ليس وراءها شىء إلا إذا كانت العبرة بالكمية !

أما المقارنة بين أبيات ابن حمديس اللامية وبين قصيدة شلى فى القبرة ، فليس لدى الآن فى المصيف ما أرجع إليه من أجل هذه القصيدة ، وقد أجد فى أمرها ما يدعو إلى تناولها بعد العودة إلى القاهرة إن شاء الله .

مصيف بلطيم — **عباس خضر**



الاسلام المفترى عليه

تأليف الأستاذ محمد الغزالي

للأستاذ محمد رجب البيومي

الإسلام في حاجة ماسة إلى الدفاع عنه ، فقد نسجت حوله المفتريات من أعدائه ، وأظهره المغرضون في صورة لا تتفق مع إنصافه ورحمته ، بينما نشط أصحاب المذاهب الإلحادية في ترويجها وإظهارها في معرض براق أخاذ ، فاتجهت إليها الأنظار ، ووقف الإسلام صامتا لا يجد من يفصح عن مبادئه ومثله ، حتى قيض الله له أقلاما تنصره ، وتعلن كلمته ، وفي طليعتها قلم الأستاذ محمد الغزالي الذي يحارب به جوار الأستاذ سيد قطب في معركة الحق والإصلاح !

وكتاب « الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين » حلقة من تلك السلسلة التي يوالي الأستاذ الغزالي إصدارها منذ سنوات دفاعا عن دينه وعقيدته ، ولكل كتاب ناجح فكرة تدور عليها صفحاته ، وتنطق بها أبوابه ، وقد جاءت فكرة هذا الكتاب واضحة صريحة تعلن عن نفسها في كل سطر من سطوره ، فالمؤلف ينظر إلى المذاهب الاقتصادية المعاصرة نظرة دارسة ، ثم يقرنها بالمذهب الإسلامي الذي نطق به القرآن وطبقه الرسول وصحابته ، وقد انتهى من ذلك إلى أن الإسلام ينظر إلى الرأسمالية والشيوعية معا نظرة عداء واحتقار ، فهو لا يعترف بقوانينها المتداولة ، بل يقيم مذهبه العادل على أساس من الإخاء والمساواة

وقد ناقش الأستاذ الغزالي الرأسمالية مناقشة منصفة تستمد عناصرها من الواقع الملموس ، كما اقتحم على الشيوعية معاقلها معقلا معقلا ، وقد أسهب في مناقشة الأولى إسهابا يتطلبه الوضع الحاضر للمجتمع الإسلامي ، ويعلل ذلك بأنها تقيم بين ظهرانينا داخل الحدود فهي أولى بالمحاربة من الشيوعية التي لم تقتحم بعد علينا السبيل ، وذلك لم يحل دون منازلتها هي الثانية والتجهيز عليها بسيف الإسلام

ومحاربة الرأسمالية الحاضرة تتطلب إيمانا صادقا ، وعقلا راجحا ، والمؤلف بحمد الله منهما على أتم نصيب ، وقد سلك في نزاله الطريق المنطقي الذي يستعصم بالحجة والبرهان ، ويمهد للنتائج بمقدمات صحيحة مقبولة ، فهو أولا يفصح عن معنى الرأسمالية ويبين جنايتها على الشرق الإسلامي في شتى حواضره ، وقد أحال إليها ما يفشو لدى السواد الأعظم من تأخر وانحطاط ، وما يقع على الكواهل الكادحة من عنت وإرهاق ، وكانت في نظره المنبع الأول الذي تفجرت منه روافد الجهل والفقر والمرض ، ولم يفته بعد أن أوضح اعتداءها المادي الصارخ ، أن يلفت النظر إلى أضرارها المعنوية المريقة ، وقد اختار لها أبوابا بارزة في كتابه فتحدث عن الشلل العقلي الذي يطمس أفهام المرءوسين فيدورون وراء سادتهم كالآلة في المصنع ، لا يناقشونهم الرأي أو يقاسمونهم الربح ، كما يهبط بنفوسهم إلى مستوى العبيد ، فهم كما قال المؤلف يهدأون ويتحركون مرضاة لأشخاص يعملون لهم ويعيشون في دائرتهم ، وتكون أصواتهم النيابية لهم في النهاية دون كفاءة واستحقاق

وقد عجب الأستاذ الغزالي لبقاء هذا الوضع الظالم قرونا متوالية وتساءل عن أسلحة الرأسمالية التي مهدت لها البقاء في هذا الجو النهم الفاجع ، وكم كان أليما أن يكون الدين المستغل المشوه أفتك أسلحتها في هذا المضمار ، فالدعوة إلى الزهد الصوفي ، وتحوير النصوص الصريحة ، وذم الدنيا في بعض الأحاديث النبوية ، كل أولئك كان مادة وافرة للمحترفين من رجال الدين ، فطفقوا يخدمون الرأسمالية عن قصد وغير قصد بما شوه محاسن الإسلام وجلب عليه النوائب من كل باب !! وهو في هذه المعركة يرى شهيد

وقد أردف المؤلف تشخيصه الصادق لعلاج ناجع يستمد أصوله من الدين الحنيف ، وقد عرض نماذج مختلفة من نصوص القرآن ، وأحاديث الرسول ، ومواقف الصحابة والخلفاء

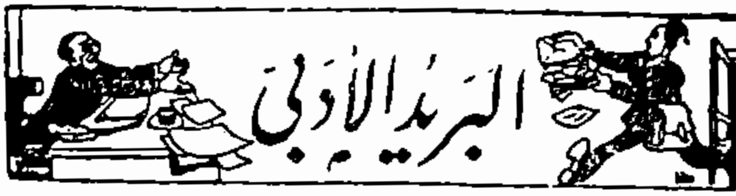
الراشدين ، لتكون دعامة ثابتة فى إقامة مجتمع نظيف يدين بالإخاء والمساواة ، وكانت أعمال محمد وعلى وأبى بكر وعمر وأبى ذر عمادا يرتكز عليه الإصلاح المنشود ، هذا إلى القواعد الأصولية المقررة فى الفقه الإسلامى ، كسد الذرائع ، ورفع الضرر ومنع الحرج وتقييد المباحات ، وكان موفقا كل التوفيق فى قوله « واستنباط حكم ما من أحكام الإسلام ، ليس سبيله أن نعثر على نص من النصوص ، فنطير به ونبنى عليه القصور ، كلا ! فلابد أن نرجع إلى جميع النصوص الواردة فى موضوعه ، وأن نفهم روح الإسلام العامة التى يصدر عنها قوانينه ، ثم لنا بعدئذ أن نقارن وأن نرجح عند تعارض الأدلة ، ما يتضح فى آذاننا ترجيحه » وهو بذلك يسد السبيل على من يعثرون على نص غير متواتر ، أو أثر منسوخ ثم يبنون عليه من الفتاوى الزائفة ما يشوه محاسن الإسلام ويهوى به من القمة إلى الحضيض

وقد دار فى ذهن المؤلف ما ستقابل به آراؤه الصريحة لدى المغرضين من افتيات وإجحاف ، وأيقن أنها ستنسب إلى الشيوعية الحمراء كما جرت العادة فى الشرق المستضعف ، فكر على الشيوعية الإلحادية ، ونازلها بسلاح المنطق والدين ، وهو فى كتابه يندد بتعصب الشيوعية لآرائها تعصبا لا يستمع معه إلى الحجة الصادقة ، والدفاع البرئ ، كما ينقم منها هجومها الآثم على ما قدسه الدين من مثل وأفكار ، بل هجومها على الدين نفسه وما يشيع فى مباحاته من روحانية وإيمان. وقد فضح الرأسماليين فضيحة قاصمة حين أعلن أنهم يفرون من الشيوعية فرارا سريعا لا لإلحادها العنيف — كما يفر المؤمنون الصادقون — بل خشية منها على أموالهم المحتكرة ، وأوضاعهم المغلة « ولو كانت الشيوعية هدما للآداب والأعراض فقط لتقبلها هؤلاء ، بل لوجدوا فيها متنفسهم العميق ، أما وهى هدم لما يملك ويقتنى ، فيجب أن تحارب باسم الدين ! ! فإن حدث أن ناقشهم الدين الحساب ، وسألهم كيف ملكتم ؟ وأين حق الله وحق الناس فيما أخذتم ؟ فالويل كذلك للدين والعاملين عليه ! إنهم إذن شر من الشيوعيين مكانا وأسوأ قيلا »

وفى الكتاب — فوق هذا — آراء صريحة لأعلام الشريعة الإسلامية كابن حزم وأبى حامد الغزالى ومحيى الدين النووى وغيرهم من أئمة السلف تبين رأى الشريعة فى الاشتراكية الإسلامية ، والإرث الشرعى ، ومدى الملكية الفردية ، وللقارئ أن يوازنها بما تورط فيه الشيخ محمد حسنين مخلوف من آراء يقابلها المخلصون بالحسرة والإشفاق ! ! وقد أماط الأستاذ الغزالى عنها اللثام ، كما قطع السبيل على كل محاولة يراد بها تخدير الشعوب باسم الدين ، وتسخيرها لمطامع الاستعباد ! !

لقد فهم الأستاذ محمد الغزالى الفقه الإسلامى ، وأدرك أصوله ومنازعه إدراكا عده الذكاء الناقد والنقد البصير ، كما ألم بمشكلات عصره ، وعالج مجتمعه ، وأخذ يستلهم السماء فى إصلاح الأرض ، ويضمد بالوحى الإلهى والهدى النبوى جراح الأمة الناغرة ، فكثر قراؤه ، وتشعب إنتاجه ، وتعددت طبعات مؤلفاته ، كما ترجم بعضها إلى لغة يهتم قراؤها بالإسلام والمسلمين ، وفى هذا دليل على أن الحق لن يعدم أنصاره فى كل مكان ؛ بل يزحف إلى غايته النبيلة ساخراً بما يعترضه من الحواجز والسدود

الكفر الجديد **محمد رجب البيومي**



١ — الشعر لأبي تمام :

جاء في الصفحة الثالثة من ديوان البحتري المطبوع في مصر سنة ١٩١١ م بتصحيح عبد الرحمن البرقوقي أن البيتين التاليين

يخفي الزجاجة لونها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء
ولها نسيم كالرياض تنفست في أوجه الأرواح والأنداء

إنهما للبحتري من قصيدته التي يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف التي مطلعها

زعم الغراب منبئ الأنباء أن الأحبة آذنوا بتناء

والذي أجزم على صحته أن البيتين الآنفي الذكر لأبي تمام وهما من قصيدته الخمرية ذات المطلع الرائع

قدك اتئب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتمو سجرائي

التي يتخلص منها إلى مدح يحيى بن ثابت كما هو المعروف في كتب الأدب وفي جميع طبعات ديوانه ، وأنها أقرب إلى نفس أبي تمام من البحتري

٢ — خطأ شائع :

أصدرت سلسلة اقرأ كتابها الأخير وهو ملامح من المجتمع العربي للأستاذ الشاعر محمد عبد الغني حسن ، وهو كتاب جدير بالإعجاب والاقتناء لما حوى من طرائف وأخبار لا يتاح جمعها إلا لبحاثة مطلع ، إلا أنني وجدت الأستاذ المؤلف استعمل كلمة « الشحاذة » بمعنى « الاستجداء » في أكثر من موضع كما جاء في الصفحة (١٢) « ما عرف مجتمعنا العربي على مختلف العصور صورة الشحاذة وحرف الاستجداء والسؤال » و « كان للشحاذين منذ القرن الأول الإسلامي وسائلهم في اجتلاب شفقة المحسنين » اهـ .. وهكذا في أكثر من موضع عند صدد الكلام عن « المجتمع العربي وطبقاته وأغنياء وفقراء » من ص ١٢ إلى ١٧ — والذي أعلمه أن هذه اللفظة غير عربية ولا تعطي هذا المعنى الذي يريده الكاتب البارع ، ولو استعمل بدلا عنها لفظة « استجدى أو سأل، أو استعطى أو غيرها لكان أبلغ في مقاله ، فقد جاء في لسان العرب ص٢٧ الجزء الخامس مادة « شحذ » ما يلي : الشحذ : التحديد، وشحذ السكين والسيف ونحوهما يشحذ شحذا أحده بالمسن وغيره مما يخرج حده فهو شحيذ ومشحوذ كقولهم : « يشحذ لحيته بناب أعصل » والمشحذ المسن . وفي الحديث . « هلمى المدية واشحذيها » ورجل شحوذ حديد نزق ، وشحذ الجوع معدته : ضرمها وقواها على الطعام وأحدها ، وشحذه بعينيه أحدها إليه ورماه بها . وكذلك ذرقته وحدجته وشحذته أي سقته سوقا . قال أبو نخيلة :

قلت لإبليس وهامان خذا سوقا بني الجمراء سوقا مشحذا
واكنفاهم من كذا ومن كذا تكنيف الريح الجهام الرذذا

ومر يشحذهم أي يطردهم وفلان مشحوذ عليه أي مغضوب عليه ، ورجل شحذان سواق قال الأخطل:

خيال لأروى والرباب ومن يكن له عند أروى والرباب تبول
يبت وهو مشحوذ عليه ولا يرى إلى بيضتى وكر الأنوف سبيل

أي مغضوب عليه ، وقال ابن شميل الشحاذ الأرض المستوية فيها حصى. وقال غيره الأكمة القرواء التي ليست بضرسة الحجارة. وقال أبو زيد شحذت السماء تشحذ شحذا ، وحليت حليا وهي فوق الهفشة »

٣ — زحاف :

في قصيدة الأستاذ عبد الرحيم عثمان صارو « أول موعد » المنشورة في العدد « ٩٤٠ » من الرسالة الزاهرة بيت زاحف

واها لأزهاري التي قطفتهن لتفرحي

والقصيدة ذات القوافي العديدة وهي من مجزوء الكامل إلا البيت المذكور لا يستقيم وزن عجزه « قطفتهن لتفرحي » إلا بزيادة حرف كالواو أو الفاء .

٤ — الشعر لعباس بن مرداس :

نسب الأستاذ الجليل محمد عطية الإبراشي في الصفحة ١١٧

من كتابه (القيم الشخصية) الطبعة الخامسة الأبيات التالية إلى كثير عزة فى صدد الكلام عن « التواضع وعدم التصنع »

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفى أثوابه أسد هصور
بغاث الطير أطولها رقابا ولم تطل البزاة ولا الصقور

الخ والصواب أنها لعباس بن مرداس

٥ – استعمال خاطئ، وشعر غير مستقيم :

« فى العدد ٩٩١ » من جريدة الهاتف البغدادية قصيدة للأديب مصطفى جمال الدين بعنوان « فى ضفاف الفرات » جاء منها

وســـــقى الجداول من غير شرابه
كأسا – يطوف بها الحباب – شمولا

ولا تأتى الشمول صفة للكأس ؛ لأن الشمول اسم من أسماء الخمر.. ولا يقال كأس شمول بل كأس دهاق وروية وغيرها من الصفات

وفى العدد نفسه قصيدة أخرى للأديب بشير حسن القطان بعنوان « أوهام » منها الأبيات التالية وهى موشحة مختلفة الأوزان

وعلى الحفيف ، وعويل أعصار الخريف

ولا يستقيم وزن هذا البيت إلا برفع واو العطف على هذه الصورة

وعلى الحفيف ، عويل أعصار الخريف

وهذا البيت :

فأجابنى صوت بعيد أن المطامع لن تعود

ولا يستقيم وزنه إلا بتسكين كلمة « بعيد » وتسكين تعود بعد لن خطأ نحوى فظيع. ولست أدرى كيف غربت هذه الأخطاء عن بال الأستاذ جعفر الخليل صاحب الهاتف الأغر ؟!

٦ – الشعر لأبى نواس :

فى الصفحة ٩٩ إلى ١٠٣ من كتاب سحر البلاغة للمرحوم السيد محمد توفيق البكرى الذى جمعه السيد فنان شاكر من كتبه ، سهاريج اللؤلؤ وفحول البلاغة ، وأراجيز العرب.. أن جميع المختارات فى تلك الصفحات هى من شعر ابن هانئ الأندلسى وأكثرها خمرية والأصوب أنها للحسن بن هانئ المعروف بأبى نواس ؛ وخصوصا وجميع هذه المختارات فى الخمر كقصائده المنشورة فى هذا الكتاب

أيها اللائمى بالاوم لوما لا أذوق المدام إلا شميا

أو قوله :

كأن بقايا ما عفا من حبابها تفاريق شيب فى سواد عذار

الخ . ولا إخال هذه النسبة إلى ابن هانئ الأندلسى إلا من تصرف الجامع لا المرحوم البكرى نفسه

بغداد – أمانة العاصمة **عبد القادر رشيد الناصرى**

شوقية أخرى لم تنشر :

قرأت فى العدد ٩٣٩ من الرسالة مقالا تحت هذا العنوان للأستاذ عبد القادر رشيد الناصرى . . جاء فيه ، فى قصيدة شوقى رحمه الله :

العبقرية غـــير مالـكة إذا مشى غيره لها وجنانا

وقد علق على كلمة (غير) بقوله : أظنها محرفة

وعندى أن كلمتى : غير مالكة ، محرفتان معا . من : عين مالكة . أى ذات رسالة إلهية . . أو : خير مالكة .. أى خير رسالة إلهية .. أى فى هذا الفن .. وذلك لأن المألكة : الرسالة . وأراد بها هنا الرسالة الإلهية . . ويؤيد فهمى هذا معنى الشطر الأخير . . فالمعنى أنه مطبوع على الفن لم يقلد غيره ، ولم يسطو على فن سواه .. ولذلك قال مؤيد هذا المعنى :

لا تسأل الله فنا كل آونة واسأله فى فترات الدهر فنانا

القاهرة **محمد أحمد رضوان**

كلما :

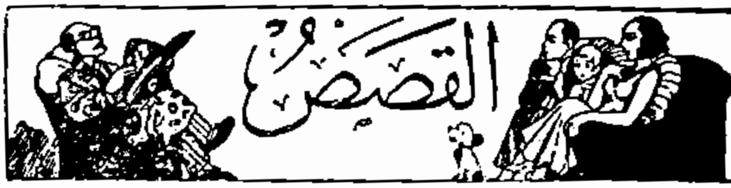
. . (كلما كان جمهور الفنان مديدا كلما كان لرسالته فى الحياة قيمة) . . هذه العبارة وردت فى مقال (أدبنا القوى)

للأستاذ حسين عزي بالعدد (٩٤٢) ، ولا أرى فيها محلا لتكرير كلما ، وإليك ما كتبه العلامة ابن هشام فى (مغنى اللبيب) متصلا بهذه الملاحظة :

« كل فى نحو.. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا .. منصوبة على الظرفية باتفاق ، وناصبها الفعل الذى هو جواب فى المعنى مثل « قالوا » فى الآية ، وجاءتها الظرفية من جهة « ما » فإنها محتملة لوجهين ، أحدهما أن تكون حرفا مصدريا والجملة بعده صلة له فلا محل لها ، والأصل كل (رزق) .. والثانى أن تكون اسما نكرة بمعنى وقت . . ثم أورد قوله تعالى: (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها) ، (كلما أضاء لهم مشوا فيه) ، (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) » (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم)

.. وعلى ضوء هذا كله يتعين أن يكون الصواب فى عبارة الأستاذ الكبير : (كلما كان جمهور الفنان عديدا كان لرسالته فى الحياة قيمة) بحذف (كلما) الثانية ، وتحياتى إليه

محمد محمد الابشيهى



الفانية !.

للأستاذ كمال رستم

« مهداة إلى سعادة الأستاذ محمد كامل البهناوى بك صاحب الأقاصيص المأثورة »

.. يحيط الطبيب فى حياته العملية أكثر من أى إنسان آخر بالطبيعة البشرية ، فهو يلم بأحاسيس مريضه وانفعالاته .. ويراه وهو يتجرد من الثياب فى حالة أشبه بحالة الرجل البدائى .. لا زيف فى الشعور .. ولا ادعاء .. ولا دهاء . وهو يلاحظ مرضاه وكيف يتصرفون عند الشدائد وعند استهدافهم للموت .. ويرقب سلوكهم إبان المرض . وفى أعقاب الشفاء . وهو فى ذلك كله يقابله الكثير من القصص المثيرة .. ولا جرم أن أشد ما يحز فى نفسه أن يقف عاجزا مكتوف اليدين من إنقاذ روح بها أو مطامنة ألم . وليس من يدرك مشاعر الطبيب فى مثل هذه الظروف القاسية إلا المشتغلون بهذه المهنة . ولعل من أكبر المشاهد التى أثرت فى نفسى فى الأيام الأخيرة ، مشهد الدموع التى رأيتها تلتمع فى عينى إحدى مريضاتى وهى تقول لى :

— إذن !

هذه الدموع التى طفرت من عينيها وتحدرت فى خطين دقيقين على وجنتيها ، لا زلت أجتليها مثلما اجتليتها لحظة مطولها ! ولا زلت أذكر كيف غيضت بمنديل بيدها الصغير هذه الدموع .. وكيف تحاملت على نفسها واقفة أمامى . كأنما ذكرت فجأة أنه لا يجدر بها أن تتخلى عن شجاعتها وأن تتهم بالخور والجبن !

إسمها نادية .. عذراء فى التاسعة عشرة .. فتانة بما يعنى مدلول اللفظ . ومع أنها وقت أن جاءتنى كانت مريضة .. لا .. بل كانت ماضية إلى الموت ذاته .. لم تتخل عن وجهها سمات الفتنة الآسرة !

وكانت قصتها قد بدأت قبل أن تحضر إلى بوقت طويل ! . كانت مريضة بالسرطان ! والسرطان حتى أفلت زمامه من أيدينا فإن أية قوة .. وأية حكمة لا تفيد فى دفعه أو كبح جماحه . والحد الملى لهذا المرض الخطير أنه مجموعة من الخلايا تنمو فى الجسم على حساب التركيبات المحيطة .. وخارجة عن تحكم الجسم .. فالجسم الإنسانى يتكون من مجموعات من الخلايا تنجم عن انقسام خلية ثم انقسام أجزائها .. ثم انقسام هذه الأجزاء .. وهكذا إلى أن يتم نمو الإنسان . فإذا تصورنا أنه ليس من قوة تحكم هذا النمو .. فإننا نحصل فى النهاية على مجموعة من الخلايا لا شكل لها . وإذا افترضنا أن إحدى الخلايا ابتعدت لسبب ما من اتصالها العصبى وهى لا تزال حية وفى موضع يمكنها

أن تحصل فيه على غذائها من السائل الدموى ؛ فالذى يحدث هو أنها تأخذ فى النمو والانقسام وتكبر فى الحجم وتغير على جاراتها من الخلايا العادية . وهـذا ما نسميه « بالتضخم البغيض » أو « التضخم القاتل » . . هـذا هو السرطان الذى يحطم الخلايا العادية المجاورة وينتشر خلال الأوعية اللمفاوية وينطلق فى مسرى الدم إلى سائر الجسم ! .

يدرك الطبيب أن دملا صغيرا هو تضخم بغيض بسبب أعراض معينة فيقول لنفسه :

فلأبتره قبل أن يشق على أن أعالجه . . وقبل أن يبتدئ فى مكان لا يمكننى فيه أن أبتره خوفا من إتلاف عضو حيوى . . أبتره سريعا قبل أن يغدو حرا وينتشر فى سائر الجسم . . إلى الرئتين . . أو إلى العمود الفقرى . . أوعظام الساق . . أو الصدر . . أو الكبد أو أى مكان آخر حيث لا يمكننى أن أزيله تماما دون أن أقتل المريض ! هذا هو السبب الذى من أجله ننصح الناس دائما بأن يستشيروا طبيبهم حالما يرون دملا غريب الشكل ! . وهـذا هو السبب الذى من أجله نتألم عند ما تقول لنا سيدة إن لديها تضخما منذ ستة أشهر ولكنها لم تشأ أن تخبر بأمره أحدا . . ستة أشهر أضاعت خلالها على نفسها فرصة العلاج السريع لأنها أبت أن تكاشف أحدا بمرضها ! .

كانت هذه هى الحالة التى جاءتنى عليها نادية

وكانت مخطوبة إلى ابن خالتها . . وراحت تنتظر معه اليوم الذى يربطهما فيه الرباط المقدس . . ولكن هـذا اليوم السعيد الذى تتحقق فيه المنى لم يحدث أن أقبل أبدا !

العاطفة الشبوبة . . واللهفة والحنان . . كل أولئك لم أعرفه فى غير هذين الخطيبين ! كان يحب أحدهما الآخر حبا يتضاءل أمامه كل حب رأيته أو سمعت به . وكان الوفاء الذى يستخف بالتضحية . . وتهون عليه الصعاب هو ذلك الوفاء الذى كان يعشش فى صدرى هذين العاشقين الصغيرين ! . رأيت ذلك من قرب ولمسته فى الوقت القصير الذى قضياه فى عيادتى ! . أبدا لم أسمع فى حياتى أرق من ذلك الصوت الذى كان يخاطب به الخطيب خطيبته . . ولا تلك اللهفة التى كانت تبين فى صوته وهو يقول لى :

— أريد أن أطمئن يا سيدى

كانت قولته هـذه التى انبجس منها الشعور الحلو دافقا جياشا . . هى كل ما قاله لى . . وزايل الغرفة وتلبث خارجها ينتظر الكلمة التى تنفرج عنها شفتاى . تلبث ينتظر حكمى بالحياة أو الموت على فتاته

. . وكان فى الغرفة أن قصت على قصتها

عندما ظهر التضخم فى صدرها حسبته بادئ الأمر دملا . . ولم يجد العلاج الذى استطبت به . . وراح ما حسبته دملا يكبر . . ويكبر . وغاضت الابتسامة من وجهها . وبدأ التفكير العميق يستغرقها والهواجس تستبد بها . ! لاحظ الفتى أن فتاته غدت موزعة النفس مشتركة الذهن ! وآلمته حيرة مضنية وراح يلحف فى سؤالها عن السر فى سهومها المطرق.وكان جوابها عن كل الأسئلة التى ألقاها عليها هو قولها :

— ليس بى شئ ! أية صدمة أصابته . . وأى حزن كاد يطيح بصوابه عندما أطلعته آخر الأمر على ما استسر طويلا فى صدرها من الوساوس !

وبدا له أن يعرضها على طبيب . . وأشار الطبيب بأن يجرى لها سريعا جراحة استئصال التضخم وأجريت الجراحة . واختفى المرض . . وتوارت آثاره البغيضة

وكان من الممكن أن تعود الابتسامة إلى مكانها من شفتى الخطيبين وأن يمضيا فى مشروع زواجهما الذى عطله المرض ! ولكنهما كانا فى خوف متصل من أوبته ! كانت تمر بهما الساعات الطوال وهما مستغرقان فى إطراقة الصمت وينتبهان إلى نفسيهما فيجد كل منهما أنه أمام صاحبه . . وتجرى على شفاههما ابتسامة حزينة . . كانا يدركان أن ماردا جبارا يهدد سعادتهما ! .

. . ودرجت الأيام . . ولم يظهر أثر ما لعودة المرض وقال الحبيب لحبيبته وفى قلبه ابتسامة كبيرة :

— سنتزوج !

أجابته وهى لا تمالك نفسها من السعادة قائلة :

— نعم سنتزوج . !

وطافا بصالات الأثاث . . واقتنيا أثاث غرفات أربع . وحددا يوم الزفاف . . وجرى كل شئ على ما يشتهيان . عندما

أحست الفتاة فجأة بتغييرات فى مساحة الجراحة ، بدأت تظهر فيها بثور شائهة راحت تكبر على الأيام .. كل يوم كانت تطالعها بوجه أكثر بشاعة ودمامة من اليوم السابق ! لقد آب المرض الكريه .. ولكنها لم تستطع أن تنبئ فتاها بأوبته .. إنه كان قد غدا مرة أخرى سعيدا مجدودا . . وزايلت وجهه سمات الحيرة والقلق ! ولأنها كانت أجمعت أمرها على أن تنفرد دونه بالألم فقد أطبقت على السر الرهيب صدرها ! وراحت تتحامل على نفسها لتحتفظ بمرحها وروحها العذبة . وكتمت السر طويلا حتى ضمر جسدها ، وبانت عليها نهكة المرض . . ولكن الفتى لم يكن بحاجة لمن ينبئه بالحقيقة السافرة .. وقال لها :

— ينبغى أن تعرضى نفسك على الطبيب مرة أخرى

وتهالكت على المقعد فى إعياء وهى تمسك براحتها صدرها قائلة :

— لم تعرض فتاة معافية نفسها على طبيب ؟

قال لها :

— ولكنك لست معافية يا حبيبتى !

ومضى بها إلى الطبيب

ورأى الطبيب بنظرة واحدة أن المرض قد عاد . فى خلال أسابيع التستر والتكتم الطويلة تقدم تقدما حثيثا وأصبح لا غناء فى أية جراحة ولا جداء فى أى علاج !

أينبئها بالحقيقة ؟ ما الخير فى ذلك ؟.. ليس من شئ يمكن أن يوقف تقدم المرض . إن إنباءها بالحقيقة معناه أن يغرقها وفتاها فى ظلمات اليأس القاتل .! لقد كانت أيامها معدودة .. فلم لا يجعل حياتها فيما يستطيع خالية من الشقاء والتعاسة ..؟

وفى حال من التأثر بهذه الروح الإنسانية التالية قال لها وهو يربت على كتفها فى جذل مصطنع :

— لا محل إطلاقا لأوهامك وهواجسك فأنت معافاة سليمة .

كثيراً ما يقسو الناس فى أحكامهم على الطبيب إذا جاءت النتائج على عكس ما قال لهم . البعض يتهمه بالغفلة.. والبعض الآخر بالشره .. وليس فيهم من يدرك الموقف الدقيق الذى تفرضه عليه بعض أمراضهم !. ولا من يدرك أنه بشر مثلهم .. وإن أقسى ما يشعر به هو أن يعجز عن أن يعيد الابتسامة إلى مكانها من شفاه مرضاه التعساء .!

وحدثت المريضة نفسها قائلة بعد أن غادرت عيادة الطبيب :

— لشد ما خدعت نفسى .. وخدعتنى أوهامى .. ولشد ما أنا آسفة على القلق الذى استسلمت له وتركته يأخذ بخناق ! .

ولا شك أن الفتى قال لنفسه بعد أيام من زيارتهما للطبيب :

— لقد أكد لى الطبيب أن صحتها على ما يرام وأكدت لى نفسها أنها فى عافية .. ففيم إذن ضعف فتاتى وسقامها ؟ .

ومرة أخرى أقلقه الشك فأجمع أمره على أن يستشير طبيباً آخر .. وكنت أنا الطبيب الأخير الذى استشاره !..

كانت النظرة التى ألقيتها على المريضة كافية لأن أعلم أن برءها محال . وأشكلت على وجوه الرأى ولم أدر هل أصارحها بالحقيقة أم أكتمها عنها وأطمئنها كما طمأنها طبيبها من قبلى ، وأدع الأقدار وحدها تقول لها كلمتها وهى فصل الخطاب !.. ولكننى كنت استمعت منها إلى قصتها . وعرفت ظروف حياتها وكنت إلى ذلك أعرف أن فتاها ينتظر فى صبر أرعن الكلمة التى ستنفرج من بين شفتى .. فأية قسوة أن أقول أمامه لفتاته :

— لا أمل فى شفائك يا ابنتى

من يتصور أن أعدم فتاة فى حياتها . . وفتى فى أمله فى الحياة ؟ ورأيتنى أميل إلى أن أكتم عنها الحقيقة فقد رأيت من الرحمة والبر ألا أطفئ جذوة الأمل الأخيرة فى حياة هذين العاشقين .! وما كدت أنتهى إلى هذا القرار حتى انساب إلى صوتها الواهن وهو يقول :

— أرجو أن تنبئنى بالحقيقة يا سيدى — إننى أعلم دقة مركزك . . ولكن يجب أن أعلم الحقيقة مهما كانت قاسية .. !

وشئت أن أتكلم .. ولكن الكلمات ماتت على شفتى . وأطرقت أفكر بينما تابعت هى حديثها قائلة :

— يريد خطيبى أن يعلم الحقيقة .. ولكن ينبغى ألا تخبره بها إن كانت قاسية فهى حرية بأن تطيح برشده وتشقيه .. ولكنى أستحلفك بشرف المهنة أن تنبئنى بها !.

وهكذا رأيتني في موقف يتحتم على فيه أن أتكلم !.

وصمدت إليها بصري لأول مرة منذ تكلمت فرأيت العزم والتصميم باديين في وجهها فقلت :

— ما دامت تلك هي إرادتك.. فإنه يحزنني أن أقول لك أن الزمام قد أفلت من أيدينا

ومع أن وجهها كان قاسيا إلا أن الدموع طفرت فجأة وتحدرت على وجنتيها في خطين دقيقين ! . أدركت في لحظة واحدة أنها امرأة فانية .. وأنها بعد وقت طويل أو قصير سترحل عن الدنيا وعن فتاها وعن ذويها .. وعن كل ما هو عزيز لديها وحبيب ..! قالت في صوت يزخر بالانفعال :

— أما يوجد علاج ... أى علاج ؟

— يؤسفني أن أقول لا !

— أما ينتظر أن أعيش ستة أشهر أخرى ؟

— يؤسفني أن أقول ... لا ... أيضا . !

قلتها وفي قلبي كآبة كبيرة ... ورأيتها تخرج منديلا من حقيبة يدها راحت تكفكف به الدمع المنحدر من عينيها !. وفي لحظة واحدة تبدلت الفتاة الفانية التي كانت أمامي واستحالت إلى فتاة جديدة .. في عينيها توكيد وعزم وقالت .

— ينبغي ألا يعرف !

وتقدمتني إلى الباب وفتحته في هدوء وقد جرت على شفتيها ابتسامة كنت وحدي أدرك كنهها وما تنطوى عليه من اليأس القاتل ... وانتفض الفتى واقفا عندما فتح الباب ..

الابتسامة الوضيئة ! الابتسامة المريرة .. الابتسامة الشجاعة كانت هي كلمة الأمان التي قالتها له فتاته وإن لم تتكلم .!

ولكنه تقدم مني ملهوفا كأنه يتهم عينيه وقال :

— أهي بعافية ياسيدي ؟

وابتسمت له ونياط قلبي تتقطع وقلت :

— أنت ترى بعينيك يا ولدي أنها بعافية ... وعلى مايرام !

وشد على يدي في حرارة وقوة وقال في شغف :

— شكراً لك يا سيدي ... شكراً لك .!

وما كادا يغادران العيادة حتى أطللت عليهما من النافذة وفي عيني دمعتان كبيرتان ! كانت الفتاة تمضي في الطريق إلى جانب فتاها وهي متأبطة ذراعه في جذل كاذب ! . أية سعادة وهمية تلك التي كانت تمشي في صدر الفتى .! وأي شقاء كان في صدر الفانية ؟

تدبرت هذه المفارقة الفذة وأنا واقف إلى النافذة أتبعهما بصري عندما قفز إلى رأسي هذا السؤال :

لم سألتني عن المدة التي يمكن أن تعيشها ؟ أتراها تزمع أن تنعم فتاها بالزواج بها ما تبقى من حياتها وهي قصيرة .! أم تراها تريد أن تتعجل أيامها الباقيات ؟.

أبدا لم يخل ذهني لحظة واحدة من التفكير في نادية فقد كنت أعلم أنها غادرت عيادتي لتموت ...

كمال رستم